حكايات المساء

الجُنْدُبُ الأسِيرُ

وَقِصَصٌ أُخْرَى





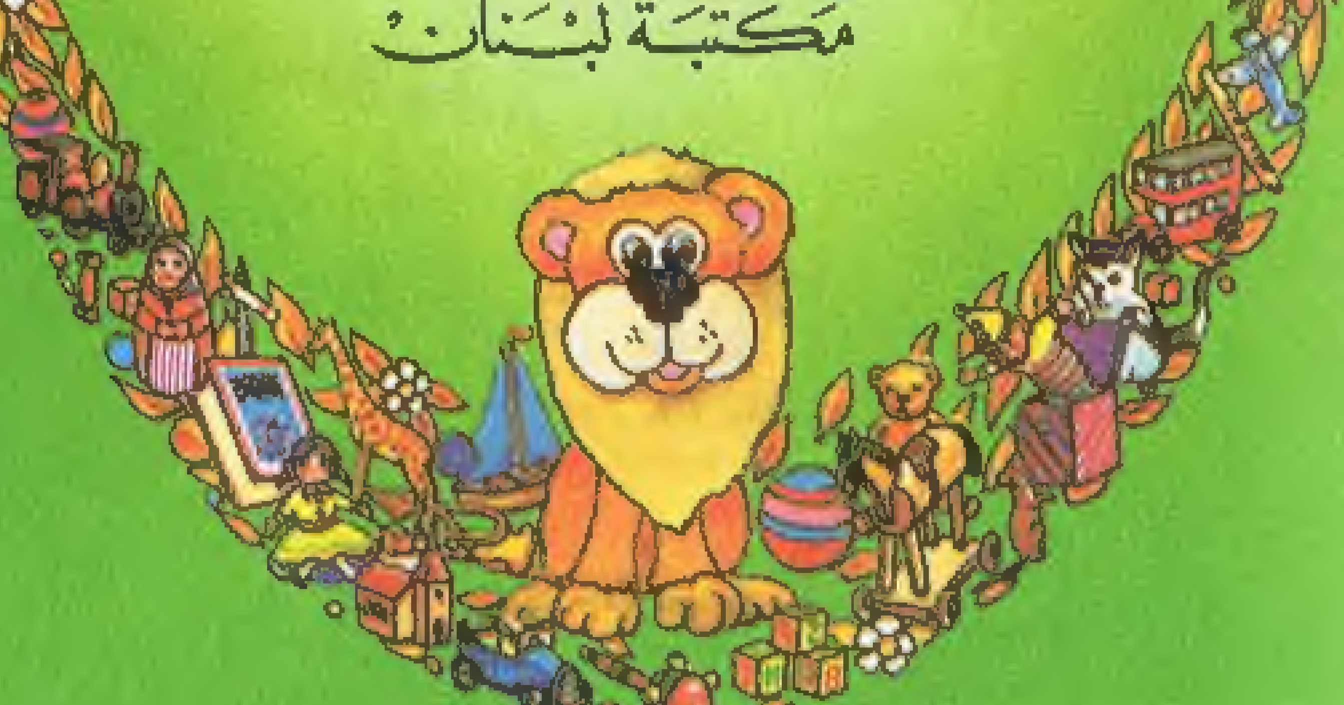
حكايات المساء

الجُنْدُبُ الأسيرُ

وقِصَصٌ أُخْرى

إعْداد: الدّكتور ألبير مُطْلَق

مَكتبة لبنان



كثيرًا ما يحارُ الأهلُ في اختيارِ الأقاصيصِ الّتي يُلحُّ أطفالُهُمْ في طلبِها قُبَيْلَ النّومِ. وهٰذا الكتابُ مَوْضوعٌ لِيُلَبّي هٰذِهِ الرّغبةَ لدى الأطفالِ ويُسَهِّلَ على الآباءِ اختيارَ القِصّةِ المُناسِبَةِ.

يَشْتَمِلُ الكِتابُ على مَجْموعَةٍ مِنَ القِصَصِ المُشَوِّقَةِ الّتي سَيُحِبُّها الأَوْلادُ صِغارًا وكِبارًا. وقَدْ صُمِّمَ لَها بِحَيْثُ يُشارِكُ الأَهْلونَ أَبناءَهُمْ في مُتْعَةِ الأَحْداثِ، فيَقْرأونَ على أَطْفالِهِمِ الصِّغارِ هٰذِهِ الأَقاصيصَ، ويَشْتَرِكونَ مَعَهُمْ في الاسْتِمْتاعِ بِالرُّسومِ الرّائِعَةِ المُعَبِّرَةِ.

وهِيَ قِصَصٌ أَخَذَتْ طَريقَها إلى قُلوبِ مَلايينِ الأَطْفالِ في العالَمِ، لأَنَّها تُخاطِبُ عَواطِفَهُمْ، ولأَنَّ أَبطالَها في الغالِبِ أَطفالٌ أَوْ حَيَواناتٌ صَغيرَةٌ، وحوادِثُها كُلُّها مِمّا يَجِدُ أبناؤنا في تَتَبُّعِها مُتْعَةً ولَذَّةً.

وهِيَ كُلُّها قِصَصٌ إنسانِيَّةٌ تُعَوِّدُ الطِّفْلَ مَحَبَّةَ الإنْسانِ وفَهْمَ الطَّبيعَةِ، وتُنَمّي فيهِ حُبَّ المُغامَرَةِ وقَوْلَ الحَقِّ.

وفي الكِتابِ مَقْطوعاتٌ شِعْرِيَّةٌ يَسْهُلُ حِفْظُها تُساعِدُ في إضْفاءِ لَوْنٍ مِنَ النَّغَمِ المُحَبَّبِ على جَوِّ الأَقاصيصِ.

المُحْتَوَيات

الجُنْدُبُ الأَسِيرُ

كانَ الجُنْدُبُ الصَّغيرُ جَنْدوب أَجْمَلَ جَنادِبِ الحَديقَةِ. كانَ له زاوِيَةٌ خاصَّةٌ في الحَديقَةِ يَعيشُ فيها قَريبًا من أَصْدِقائِهِ وجيرانِه. لم يَكُنْ يَوْمًا يُحِسُّ بِالوِحْدَةِ ، فقد كانَ جُنْدُبًا مَحْبوبًا يَنِطُّ من مَكانٍ إلى آخَرَ ، ولا يَتْرُكُ صَديقًا إلّا ويَزورُهُ ويُحادِثُهُ. لَكِنَّهُ كانَ مُولَعًا بِأَحْلامِ اليَقَظَةِ ، فكَثيرًا ما كانَ يَجْلِسُ مُسْتَرْخِيًا في أَشِعَّةِ الشَّمْسِ ويَحْلُمُ بِالتَّجْوالِ في أَنْحاءِ العالَمِ ، أو يَتَخَيَّلُ نَفْسَهُ



يُحارِبُ خُصومًا يُحاوِلونَ قَتْلَ أَصْحابِهِ ، فَيَنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ. وكانَتْ أَحْلامُهُ تَبْدو له أَحْيانًا حَقيقِيَّةً فيُصَدِّقُها هو نَفْسُهُ ويَكادُ لا يَقْوى على انْتِظارِ أَصْحابِهِ لِيُخْبِرَهُمْ آخِرَ «مُغامَراتِه». وكانَ أَصْحابُهُ جَميعًا يَبْتَسِمونَ ويَعْرِفونَ أَنَّهُ عادَ إلى أَحْلامِ اليَقَظَةِ.

في أَحَدِ الأَيّامِ الدّافِئَةِ كانَ جَنْدوب يَجْلِسُ في زاوِيَتِهِ يَرْتاحُ بَعْدَ الغَداء. فَجْأَةً عَكَّرَ الهُدوءَ ضَجيجٌ قَوِيٌّ ، فالْتَفَتَ لِيَعْرِفَ سَبَبَ الضَّجيج. ويا لَها من صَدْمَةٍ ! لقد رَأى آدَمِيِّينَ يَدْخُلونَ الحَديقَةَ. خافَ على أَصْحابِهِ من أَنْ تَسْحَقَهُمْ أَقْدامُ الآدَمِيِّينَ ، فراحَ يَنِطُّ في الحَديقَةِ نَطًّا مَحْمومًا ويَصيحُ بِأَعْلى صَوْتِهِ قائِلًا : «اِبْقوا مُخْتَبِئين ، الآدَمِيّونَ قادِمون !» وسُرْعانَ ما وَصَلَ النَّبَأُ إلى الجَميعِ فأَقاموا في مَخابِئِهِمْ آمِنينَ ، ولم يَبْقَ خارِجًا إلّا جَنْدوب نَفْسُهُ.

راح جَنْدوب يَنِطُّ ويَنِطُّ مُحاوِلًا الوُصولَ إلى مَخْبَئِهِ. وكان قَدِ اقْتَرَبَ كَثيرًا. فَجْأَةً أَظْلَمَتِ الدُّنْيا من حَوْلِهِ ، واخْتَفى الحَشيشُ ، ولم يَعُدْ يَتَحَرَّكُ أو يَسْمَعُ شَيْئًا. أَصابَهُ ذُعْرٌ شَديدٌ ، وراحَ يَصْرُخُ طالِبًا النَّجْدَة.

فَجْأَةً وَجَدَ جَنْدوب نَفْسَهُ يَسْقُطُ في مَرْطَبانٍ زُجاجِيٍّ. واسْتَطاعَ من خِلالِ الزُّجاجِ أَنْ يَرى حَديقَتَهُ وبَيْتَهُ. راحَ يَنِطُّ نَطًّا مَحْمومًا عَلَّهُ يَعودُ إلى حَديقَتِهِ ، لَكِنَّ حاجِزًا قَوِيًّا كان يَمْنَعُهُ مِنَ الخُروجِ. وكانَ في غِطاءِ المَرْطَبانِ ثُقوبٌ يَدْخُلُ منها الهَواءُ ، لَكِنَّها أَصْغَرُ من أَنْ تَسْمَحَ له بِالهَرَبِ. ثم رَأى الآدَمِيِّينَ يَسيرونَ ، وراحَ يَتَحَرَّكُ مَعَ حَرَكَةِ أَيْديهِمْ فيَصْدِمُ جَوانِبَ المَرْطَبانِ. كانَ يَشْعُرُ بِالوِحْدَةِ والمَرارَةِ واليَأْسِ. فارْتَمى على حَشيشِ المَرْطَبانِ ونامَ.



اِسْتَيْقَظَ جَنْدوب بَعْدَ حينٍ فرأى وَجْهًا آدَمِيًّا يُحَدِّقُ فيهِ ، فذُعِرَ. ثمّ أَحَسَّ بأنَّهُ عادَ إلى التَّحَرُّكِ من مَكانِهِ ، فَنَظَرَ خِلالَ الزُّجاجِ فرأى نَفْسَهُ في قاعَةٍ كَبيرَةٍ مُزْدَحِمَةٍ بآدَمِيّينَ صِغارٍ ! وكانَ في القاعَةِ آدَمِيَّةٌ كَبيرَةٌ واحِدَةٌ ، رَفَعَتِ المَرْطَبانَ لِتُرِيَهُ لِلآدَمِيّينَ الصِّغارِ وتَحَدَّثَتْ إلَيْهِمْ ، ثمّ أَعادَتْهُ إلى مَكانِهِ.

ثمّ اجْتَمَعَ حَوْلَ المَرْطَبانِ أَرْبَعَةُ آدَمِيّينَ صِغارٍ وراحوا يُحَدِّقونَ فيه بِوُجوهِهِمِ الكَبيرَةِ. أُصيبَ جَنْدوب بِذُعْرٍ شَديدٍ ، وعادَ إلى نَطِّهِ المَحْمومِ عَلَّهُ يَجِدُ مَكانًا يَهْرُبُ إلَيْهِ مِنَ الوُجوهِ المُحَدِّقَةِ فيه. وكانَ كُلَّما نَطَّ نَطَّةً عَلَتْ أَصْواتُ الآدَمِيّينَ الصِّغارِ بِالضَّحِكِ والصُّراخِ.



رَأى جَنْدوب الآدَمِيّينَ الصِّغارَ يَحْمِلونَ كُتُبَهُمْ ويَخْرجونَ. فقالَ في نَفْسِهِ: «إنَّهُمْ مَحْظوظونَ. فَهُمْ أحْرارٌ. لا أظُنُّ أنَّهُمْ يُحِبّونَ أنْ يَكونوا مَحْبوسينَ في هٰذا المَرْطَبانِ مَكاني.» ثُمَّ أظْلَمَتِ الدُّنْيا حَوْلَهُ مَرَّةً أُخْرى، وكَأنَّهُ وُضِعَ في كيسٍ. ثُمَّ أحَسَّ بِنَفْسِهِ يَتَحَرَّكُ.

بَدَتِ الرِّحْلَةُ المُظْلِمَةُ طَويلَةً جِدًّا. وأحَسَّ بِالجوعِ والعَطَشِ. ثُمَّ رَأى نَفْسَهُ فَجْأةً وقد خَرَجَ مِنَ الظَّلامِ. نَظَرَ خِلالَ زُجاجِ المَرْطَبانِ فرأى حَديقَتَهُ. هَتَفَ بِسَعادَةٍ: «هٰذِهِ حَديقَتي، وهٰذا بَيْتي!» لٰكِنَّهُ تَذَكَّرَ أنَّهُ أسيرٌ وأنَّهُ لَنْ يَقْوى على مُشارَكَةِ رِفاقِهِ اللَّعِبَ. ثُمَّ حَدَثَ شَيْءٌ غَريبٌ، فَقَدِ امْتَدَّتْ يَدٌ وحَمَلَتْهُ بِرِفْقٍ ووَضَعَتْهُ على حَشيشِ الحَديقَةِ، مُعيدَةً إيّاهُ إلى حَديقَتِهِ وإلى الحُرِّيَّةِ. وكَالبَرْقِ نَطَّ جَنْدوب.

كانَ رِفاقُهُ يُراقِبونَ في عَجَبِ الآدَمِيّينَ وهم يُعيدونَ الجُنْدُبَ الصَّغيرَ. وتَوافَدَ الجَنادِبُ مِنَ الحُقولِ المُجاوِرَةِ لِمَعْرِفَةِ ما حَدَثَ. غَيْرَ أنَّ الجُنْدُبَ الصَّغيرَ لم يَكُنْ يَرْغَبُ إلّا في العَوْدَةِ إلى زاوِيَتِهِ المُحَبَّبَةِ في الحَديقَةِ، وفي شَيْءٍ مِنَ الطَّعامِ. لٰكِنْ، حَتّى لَوْ رَغِبَ في رِوايَةِ المُغامَراتِ والمُخاطَراتِ الشَّديدَةِ الّتي واجَهَها فِعْلًا هٰذِهِ المَرَّةَ، فَمَنْ يُصَدِّقُ الجُنْدُبَ الصَّغيرَ الحالِمَ؟





العُصِيُّ الخَمْسُ

كانَ في أَحَدِ البُلْدانِ البَعيدَةِ خَمْسُ عُصِيٍّ. الأولى كَبيرَةٌ وقَوِيَّةٌ وتُحِبُّ المُساعَدَةَ، فلم تَكُنْ تَرى أَحَدًا يَحْتاجُ إلى عَوْنٍ إلّا وأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ.

العَصا الثّانِيَةُ كانَتْ هَزيلَةً وتُحِبُّ الغُموضَ. وكانَتْ إذا رَأَتْ عَمَلًا مُضْجِرًا أَسْرَعَتْ تَعْرِضُ القِيامَ به. وفَجْأَةً يَكونُ العَمَلُ قد أُنجِزَ دونَ أَنْ يَراها أَحَدٌ تَقومُ به.

وكانَتِ العُصِيُّ تُحَدِّقُ في ذُهولٍ، وتَقولُ: «كَيْفَ فَعَلْتِ ذٰلِكَ؟» فَتَقِفُ العَصا الغامِضَةُ تَبْتَسِمُ دونَ أَنْ تَقولَ شَيْئًا.

العَصا الثّالِثَةُ كانَتْ تَخْتَلِفُ عَنِ العَصَوَيْنِ الأولَيَيْنِ. فقد كانَتْ نَحيلَةً، جَوْفاءَ، كَسولَةً وغَيْرَ مَحْبوبَةٍ. لم تَكُنْ تُحِبُّ أَنْ تَقومَ بِنَصيبِها مِنَ العَمَلِ، وكانَتْ تَتَأَفَّفُ من كُلِّ شَيْءٍ.

العَصَوانِ الأَخيرَتانِ كانَتا تَوْأَمَيْنِ. وكانَتا صَغيرَتَيْنِ مُرَتَّبَتَيْنِ لَطيفَتَيْنِ، تَقومانِ بِأَعْمالِهِما مَعًا، ولا تَفْتَرِقانِ. تَذْهَبانِ إلى عَمَلِهِما راقِصَتَيْنِ، وتَعودانِ منه راقِصَتَيْنِ أَيْضًا.

قَرَّرَتِ العُصِيُّ يَوْمًا أَنْ تَرْتَحِلَ بَحْثًا عن مُسْتَقْبَلٍ جَديدٍ. فاعْتَرَضَتِ العَصا الجَوْفاءُ الكَسولَةُ، لٰكِنَّها كانَتْ تَعْلَمُ أَنَّها إذا بَقِيَتْ وَحْدَها فَسَتَقومُ بِالأَعْمالِ كُلِّها دونَ مُساعَدَةِ أَحَدٍ.

ثُمَّ شَجَّعَتْها العَصا الكَبيرَةُ قائِلَةً: «تَعالَيْ مَعَنا، سَأُساعِدُكِ، وَلَنْ أَتْرُكَكِ وَحْدَكِ أَبَدًا.» وهٰكَذا انْطَلَقَتِ العُصِيُّ الخَمْسُ في مُغامَرَتِها.

دَخَلَتِ العُصِيُّ بَلْدَةً مُجاوِرَةً، فرَأَتْ رَجُلًا عَجوزًا مُتْعَبًا يَمْشي بِبُطْءٍ وصُعوبَةٍ. كانَ يُسْنِدُ ظَهْرَهُ بِيَدٍ ويَمُدُّ اليَدَ الأُخْرى أَمامَهُ لِيُوازِنَ نَفْسَهُ بِها.

قَفَزَتِ العصا الكَبيرَةُ إلى العَجوزِ، قائِلَةً: «دَعْني أُساعِدْكَ!» ثُمَّ وَضَعَتْ نَفْسَها في يَدِهِ المَمْدودَةِ أَمامَهُ.

هَتَفَ العَجوزُ بِارْتِياحٍ: «يا الله! أَنْتِ ما أَحْتاجُ إِلَيْهِ!» ثُمَّ مَشى مُعْتَمِدًا على العَصا بِراحَةٍ واطْمِئْنانٍ.



وَدَّعَتِ العُصِيُّ الأَرْبَعُ الأُخْرى أُخْتَها الكَبيرَةَ وتابَعَتْ طَريقَها في البَلْدَةِ.

راحَتِ العَصا الجَوْفاءُ الكَسولَةُ تَتَأَفَّفُ بَعْدَ أَنْ تَرَكَتْها أُخْتُها الكَبيرَةُ الَّتي كانَتْ تَتَّكِئُ عَلَيْها وتَعْتَمِدُ على مُساعَدَتِها. ثُمَّ فَجْأَةً أَحَسَّتْ بِيَدٍ تُمْسِكُها.

خافَتِ العَصا الجَوْفاءُ كَثيرًا، لٰكِنَّ الرَّجُلَ أَمْسَكَها بِرِفْقٍ ووَضَعَ فَمَهُ عَلَيْها ونَفَخَ فيها. فَأَصْدَرَتْ صَوْتًا لَطيفًا لَيْسَ فيهِ تَأَفُّفٌ هٰذِهِ المَرَّةَ. قالَ الرَّجُلُ: «سَتَكونينَ مِزْمارًا رائِعًا!» ثُمَّ عَمِلَ فيها بَعْضَ الفَتَحِ، ونَفَخَ ثانِيَةً.

ضَحِكَتِ العَصا ضِحْكَةَ سَعادَةٍ رَنّانَةً، وقالَتْ: «أُحِسُّ أَنَّ صَوْتي قَدِ امْتَلَأَ جَمالًا وحَنانًا.»

أَخَذَ الرَّجُلُ يَعْزِفُ على العَصا الَّتي أَصْبَحَتْ مِزْمارًا رائِعًا. عَزَفَ أُغْنِياتٍ رائِعَةً وموسيقى راقِصَةً بَديعَةً، فاجْتَمَعَ النّاسُ حَوْلَهُ يُغَنّونَ ويَرْقُصونَ. ورَقَصَتِ العَصَوانِ التَّوْأَمانِ رَقْصًا سَريعًا رَشيقًا لَمْ تَعْرِفا مَثيلًا لَهُ مِنْ قَبْلُ.





رَأى العَصَوَيْنِ الرّاقِصَتَيْنِ فَتًى طَبّالٌ، فَقالَ: «أَنْتُما ما أَحْتاجُ إِلَيْهِ. لَطالَما فَتَّشْتُ عَنْ مِثْلِكُما!» ثُمَّ تَناوَلَهُما وراحَ يَقْرَعُ طَبْلَهُ بِطَرَفِهِما. ورَقَصَتِ العَصَوانِ فَوْقَ الطَّبْلِ بِسَعادَةٍ غامِرَةٍ، ولَمْ تُريدا أَنْ تَتَوَقَّفا أَبَدًا.

وبَعْدَ حينٍ تَوَقَّفَ الزَّمّارُ والطَّبّالُ لِلاِسْتِراحَةِ، وبَقِيَ النّاسُ حَوْلَهُما يَنْتَظِرونَ. وفي تِلْكَ الأَثْناءِ مَرَّ في المَكانِ رَجُلٌ عَجوزٌ غَريبُ الهَيْئَةِ واللِّباسِ. اِلْتَفَتَ العَجوزُ إِلى النّاسِ ودَعاهُمْ إِلى رُؤْيَةِ ما سَيَقومُ بِهِ مِنْ أَلْعابٍ. بَدا على العَصا الغامِضَةِ الاِهْتِمامُ الشَّديدُ، فَقَدْ كانَ في ذٰلِكَ الرَّجُلِ شَيْءٌ أَثارَ انْتِباهَها.

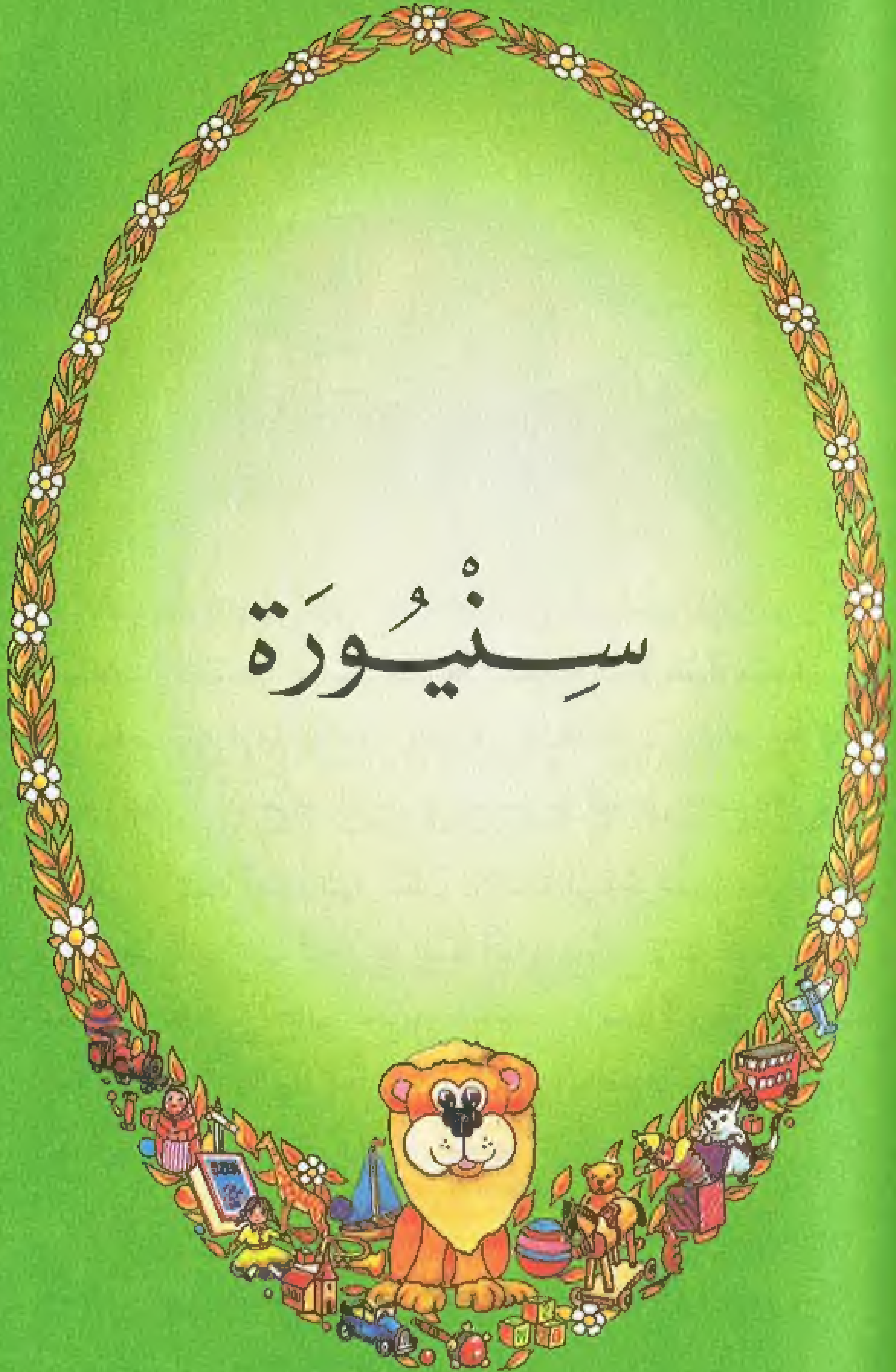
قالَ الرَّجُلُ، وهو يُري النّاسَ كُمَّيْهِ الواسِعَيْنِ ويَدَيْهِ: «اُنْظُروا لَيْسَ في كُمَّيَّ شَيْءٌ، ولَيْسَ في يَدَيَّ شَيْءٌ.»

ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ فَجْأَةً فَإِذا بِها بَيْضَةٌ. وضَجَّ الشّارِعُ كُلُّهُ بِالتَّصْفيقِ والهُتافِ. لٰكِنْ ما لَمْ يُلاحِظْهُ النّاسُ أَنَّ السّاحِرَ نَفْسَهُ كانَ أَشَدَّ انْدِهاشًا مِنْهُمْ، فَقَدْ وَجَدَ في يَدِهِ العَصا الغامِضَةَ، دونَ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ حَدَثَ ذٰلِكَ.

لقد كانَتْ نَظَراتُ الدَّهْشَةِ والذُّهولِ الّتي ارْتَسَمَتْ في عُيونِ النّاسِ هي ما تَمَنَّتْهُ العَصا الغامِضَةُ دائمًا ، فامْتَلأَتْ سَعادَةً . لكِنْ أَكْثَرَ ما أَسْعَدَها نَظَراتُ الدَّهْشَةِ والذُّهولِ في عَيْنَي السّاحِرِ العَجوزِ نَفْسِهِ . فَبَقِيَتِ العَصا طَوالَ العَرْضِ مَعَ العَجوزِ تُساعِدُهُ . وقامَ الاثْنانِ مَعًا بإخْراجِ الأَرانِبِ مِنَ طاقِيَّةٍ ، وتَحْويلِ البَيْضِ إلى عَصافيرَ ، وتَمْزيقِ صُحُفِ الوَرَقِ إلى قِطَعٍ صَغيرَةٍ ثمّ إعادَتِها إلى ما كانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَتَمَزَّقَ . وبَعْدَ العَرْضِ سَأَلَ السّاحِرُ العَصا الغامِضَةَ أَنْ تَبْقى مَعَهُ وتُساعِدَهُ في الأَلْعابِ السِّحْرِيَّةِ المُثيرَةِ ، فَقَبِلَتْ .

ما كانَ أَسْعَدَ العُصِيَّ الخَمْسَ في الرِّحْلَةِ الّتي قامَتْ بِها لِلبَحْثِ عن مُسْتَقْبَلٍ جَديدٍ ! فها هي الآنَ عُكّازَةٌ ، وقَضيبا طَبْلٍ ، ومِزْمارٌ ، وعَصا ساحِرٍ . لقد وَجَدَتْ كُلُّ واحِدَةٍ منها العَمَلَ الّذي يُسْعِدُها .





سِـنْيُورَة



كانَتْ سِنْيورَة تَقْضي وَقْتَها بِالأَحْلامِ لِتَنْسى أَنَّها تَعيشُ فَوْقَ كَوْمَةٍ مِنَ المُهْمَلاتِ والخُرْدَواتِ القَديمَةِ. فَقَدْ كانَتْ سِنْيورَة سَيّارَةً حَمْراءَ صَغيرَةً، لَمْ يَعْتَنِ بِها صاحِبُها العِنايَةَ اللّازِمَةَ، فَدَبَّ فيها الصَّدَأُ وتَلِفَتْ دَواليبُها. وما كانَ مِن صاحِبِها إلّا أَنْ جَرَّها إلى خارِجِ المَدينَةِ وتَرَكَها على جانِبِ الطَّريقِ.

كَثيرًا ما كانَتْ أَحْلامُ النَّهارِ تَجْلُبُ الابْتِسامَةَ إلى وَجْهِ سِنْيورة، وبِخاصَّةٍ ذلِكَ الحُلْمُ الَّذي كانَتْ تَتَخَيَّلُ فيه نَفْسَها أَنَّها في سيرْك. كانَتْ تُغْمِضُ عَيْنَيْها فَتُحِسُّ وكَأَنَّها تَسْمَعُ هُتافَ الجُمْهورِ المُتَحَمِّسِ وأَصْداءَ الموسيقى وخُطُواتِ الفِيَلَةِ. وتُحِسُّ كَأَنَّها تَرى البَهْلَواناتِ في ثِيابِهِمِ البَرّاقَةِ وهُمْ يَقومونَ بِأَلْعابِهِمِ المُثيرَةِ، وتَرى الأُسودَ المُرْعِبَةَ وقَدِ اسْتَكانَتْ لِأَوامِرِ مُرَوِّضِها.

ثُمَّ يَلْتَمِعُ وَجْهُ سِنْيورَة بِبَريقٍ مِنَ البَهْجَةِ العارِمَةِ حينَ يَدْخُلُ المُهَرِّجونَ حُلْمَها. يَدْخُلُ المُهَرِّجونَ الحَلْبَةَ بِوُجوهِهِمِ المُلَوَّنَةِ المُضْحِكَةِ وثِيابِهِمِ البَرّاقَةِ



اللَّطيفَةِ، فَيَقومونَ بِأَلْعابٍ مُسَلِّيَةٍ. ومِن أَطْرَفِ أَلْعابِهِمِ انْبِجاسُ المِياهِ مِن فَتْحٍ في ثِيابِهِمْ، أَوِ انْفِلاتُ دُخانٍ مِن أَجْسادِهِمْ، أَو طَيَرانُ بَعْضِ أَدَواتِهِمْ.

وكانَتْ سِنْيورَة تُحِسُّ أَنَّها تُشارِكُ الأَوْلادَ السُّعَداءَ في تَصْفيقِهِمْ وهَرَجِهِمْ، وتَهْتِفُ مَعَهُمْ حينَ يَنْدَفِعُ المُهَرِّجونَ فَوْقَ الحَلْبَةِ الزَّلِقَةِ فَيَدورونَ ويَتَزَحْلَقونَ ويَتَشَقْلَبونَ.

لكِنَّ سِنْيورَة كانَتْ تَسْتَيْقِظُ مِن أَحْلامِها في آخِرِ المَطافِ، فَتَرْتَسِمُ على وَجْهِها مِسْحَةٌ مِنَ الكَآبَةِ وتَتَنَهَّدُ. فَما تَراهُ لَيْسَ إلّا أَحْلامًا. كَيْفَ تَصِلُ إلى السيرْك وهي مَرْمِيَّةٌ فَوْقَ كَوْمَةٍ مِنَ المُهْمَلاتِ والخُرْدَواتِ.

ذاتَ يَوْمٍ سَمِعَتْ سِنْيورَة ضَجيجًا أَلِفَتْهُ في أَحْلامِها، لكِنَّها لَمْ تَكُنْ تَحْلُمُ. ثُمَّ عَلا الضَّجيجُ وبَدا قَريبًا. اِلْتَفَتَتْ فَرَأَتْ شاحِنَةً كَبيرَةً حَمْراءَ وقَدْ كُتِبَ على جانِبِها عِبارَةُ: **السيرْك الكَبير**. لَمْ تُصَدِّقْ عَيْنَيْها! سيرْك يَزورُ المَدينَةَ!

وكانَ وراءَ الشّاحِنَةِ الحَمْراءِ الكَبيرَةِ ناقِلاتٌ وأَقْفاصٌ ومَرْكَباتٌ. ورأَتْ سِنْيورَة الفِيَلَةَ والأُسودَ وحَيَواناتٍ أُخْرى كَثيرَةً وراءَ قُضْبانِ أَقْفاصِها. هَزَّتْ رَأْسَها لِتَتأَكَّدَ أَنَّها لَيْسَتْ في حُلْمٍ. ولم تَكُنْ تَحْلُمُ!

ثمّ خَرَجَ مِنَ الشّاحِنَةِ الكَبيرَةِ رَجُلانِ وراحا يَنْظُرانِ إلى كَوْمَةِ الخُرْدَواتِ وكأَنّما يُريدانِ شَيْئًا بِعَيْنِهِ. دَبَّتِ الحَيْرَةُ في سِنْيورَة إذْ رأَتِ الرَّجُلَيْنِ يَدورانِ



حَوْلَها ويَتَأَمَّلانِ أَلْوانَها الصَّدِئَةَ وأَضْواءَها المُحَطَّمَةَ ودَواليبَها البالِيَةَ. ثمّ عادَ الرَّجُلانِ إلى الشّاحِنَةِ وتابَعَتْ قافِلَةُ السّيرْكِ سَيْرَها. وتُرِكَتْ سِنْيورَة وَحْدَها تُفَكِّرُ في عَجَبٍ بما حَدَثَ.

اِسْتَيْقَظَتْ في صَباحِ اليَوْمِ التّالي على إحْساسٍ غَريبٍ. فقد بَدا لها أنَّ قُوَّةً تَرْفَعُها في الفَضاءِ. فَتَحَتْ عَيْنَيْها ونَظَرَتْ حَوْلَها، فَرأَتْ نَفْسَها فِعْلًا تَتأَرْجَحُ في الهَواءِ وهي مُعَلَّقَةٌ إلى رافِعَةٍ. ثمّ رأَتْ نَفْسَها تَسْتَقِرُّ فَوْقَ شاحِنَةٍ. وما هي إلّا لَحَظاتٌ حتّى انْطَلَقَتِ الشّاحِنَةُ فعَبَرَتِ المَدينَةَ وتَوَقَّفَتْ في الجانِبِ الآخَرِ منها عِنْدَ مَيْدانٍ فَسيحٍ. ورأَتْ سِنْيورَة في وَسَطِ المَيْدانِ خَيْمَةً واسِعَةً جدًّا، وإلى جوارِها مَرْكَباتٌ وأَقْفاصٌ وشاحِناتٌ وجَماعَةُ السّيرْكِ. لم تُصَدِّقْ هٰذِهِ المَرَّةَ أيْضًا عَيْنَيْها. لٰكِنْ ما الّذي يُريدونَهُ مِنْها، وهي السَّيّارَةُ الصَّغيرَةُ المُحَطَّمَةُ؟

اِقْتَرَبَ مِن سِنْيورَة عامِلانِ يَحْمِلانِ مُعَدّاتٍ ثَقيلَةً. أَخَذا يَنْزِعانِ عن سِنْيورَة الدّواليبَ والأَضْواءَ وسائِرَ القِطَعِ البالِيَةِ والمُحَطَّمَةِ ويَسْتَبْدِلانِ بِها قِطَعًا جَديدَةً. ثمّ قاما بِطِلائِها طِلاءً أَحْمَرَ لَمّاعًا. وبَعْدَ أنِ انْتَهى الرَّجُلانِ من عَمَلِهِما بَدَتْ سِنْيورَة وكأَنَّها سَيّارَةٌ جَديدَةٌ. ثمّ صَعِدَ رَجُلٌ وراءَ المِقْوَدِ وأَدارَ المُحَرِّكَ فدارَ دَورانًا رائِعًا. وطَفَحَ وَجْهُ سِنْيورَة بِشْرًا بَعْدَ كُلِّ هٰذِهِ المُفاجآتِ السّارَّةِ المُتلاحِقَةِ. لٰكِنَّها لم تَكُنْ قد فَهِمَتْ بَعْدُ لِمَ يُريدونَها في السّيرْكِ.

وفي ذٰلِكَ المَساءِ عَرَفَتِ الجَوابَ. فقد كانَ الرَّجُلانِ اللَّذانِ وَجَداها مُهَرِّجَيْنِ. وكانا يُفَتِّشانِ عن سَيّارَةٍ يَسْتَعْمِلانِها في مَشْهَدٍ تَهْريجِيٍّ جَديدٍ يُعِدّانِهِ. فكانَ أنْ وَجَدا سِنْيورَة!

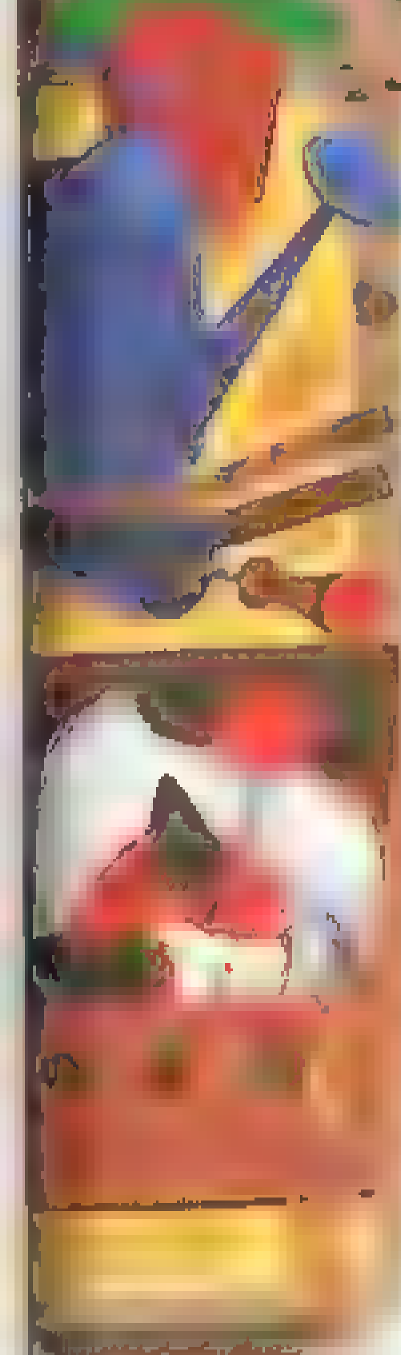
بَدَأَ مَشْهَدُ المُهَرِّجَيْنِ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَبَرَزا مِن وَراءِ السِّتارَةِ بِوَجْهَيْهِما المُلَوَّنَيْنِ وثِيابِهِما الفَضْفاضَةِ المُضْحِكَةِ . ثُمَّ قَفَزا إلى السَّيّارَةِ وراحا يَدورانِ بها في الحَلْبَةِ بِحَرَكاتٍ مُثيرَةٍ ، ويَقْفِزانِ مِنها وإلَيْها ، ويَتَبادَلانِ مَكانَيْهِما في السَّيّارَةِ أو يَقودانِها وظَهْرُهُما إلى المِقْوَدِ ، ويُطْلِقانِ بوقَها الجَديدَ الرَّنّانَ وفي أَثْناءِ ذلِكَ تَتَراقَصُ الأَنْوارُ المُلَوَّنَةُ البَرّاقَةُ فَتَشْتَدُّ وتَضْعُفُ وتُبَدِّلُ مَظْهَرَ سِنْيورَة بِأَشْكالٍ بَديعَةٍ لقد كانَ مَشْهَدًا مُثيرًا جِدًّا لَيْسَ لِلأَطْفالِ فَحَسْبُ ، وقَد هَتَفوا وصَفَّقوا وفَرِحوا ، بَلْ لِسِنْيورَة نَفْسِها أَيْضًا. كانَتْ سِنْيورَة ، وقَدْ تَحَقَّقَتْ أَحْلامُها ، أَسْعَدَ سَيّارَةٍ صَغيرَةٍ في العالَمِ.



مَسْعُود







كانَ الزَّوْرَقُ المِسكينُ مَسْعود مَرْمِيًّا في زاوِيَةٍ من زَوايا الحَديقَةِ ، وقد أحاطَتْ بِهِ النَّباتاتُ والأزْهارُ حتَّى كادَتْ تَحْجُبُهُ عَنِ العُيونِ.

لَقَدْ كانَ مَسْعود زَوْرَقًا بَديعًا ، مَتينَ البُنْيانِ حُلْوَ الزِّينَةِ والدِّهانِ. لَكِنْ صاحِبُهُ شاكِر كانَ قد كَبِرَ في السِّنِّ ولم يَعُدْ رُكوبُ البَحْرِ سَهْلًا عَلَيْهِ.

وهكذا ظَلَّ مَسْعود طَوالَ عامَيْنِ يَحْلُمُ بِالأمْواجِ والرِّيحِ دونَ أنْ يُغادِرَ الحَديقَةَ.

ثُمَّ حَدَثَ في أَحَدِ أيَّامِ الخَريفِ أنْ هَبَّتْ أعاصيرُ عَنيفَةٌ ، فامْتَلأَتِ السَّماءُ بالسُّحُبِ السَّوْداءِ.

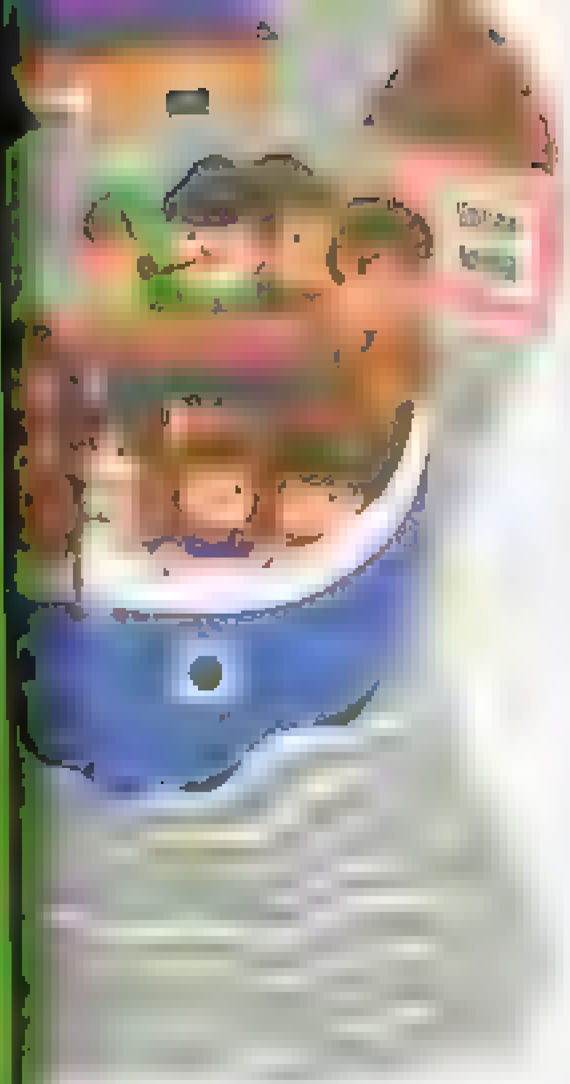




ودَوَّمَتِ الرِّياحُ القَوِيَّةُ العاصِفَةُ ، وهاجَ البَحْرُ هِياجًا شَديدًا ، وعَلَتِ الأمْواجُ عُلُوًّا مُخيفًا.

إزْدادَتِ الأعاصيرُ عُنْفًا ، ودَبَّ الذُّعْرُ في البَلْدَةِ الصَّغيرَةِ. ثمَّ حَدَثَ ما كانَ يَخْشاهُ السُّكّانُ ، فَقَدِ امْتَدَّتْ مِياهُ البَحْرِ الهائِجِ إلى البَلْدَةِ ، وغَمَرَتِ الشَّوارِعَ والطَّوابِقَ السُّفْلى مِنَ البُيوتِ.

جَلَسَ شاكِر العَجوزُ يَرْتَجِفُ خَوْفًا وهو يُراقِبُ البَحْرَ الهائِجَ. ثمَّ سَمِعَ فَجْأَةً قَرْعًا شَديدًا على البابِ. نَظَرَ في خَوْفٍ عَبْرَ النّافِذَةِ فَرَأى زَوْرَقَهُ يَضْرِبُ البابَ بِقُوَّةٍ.

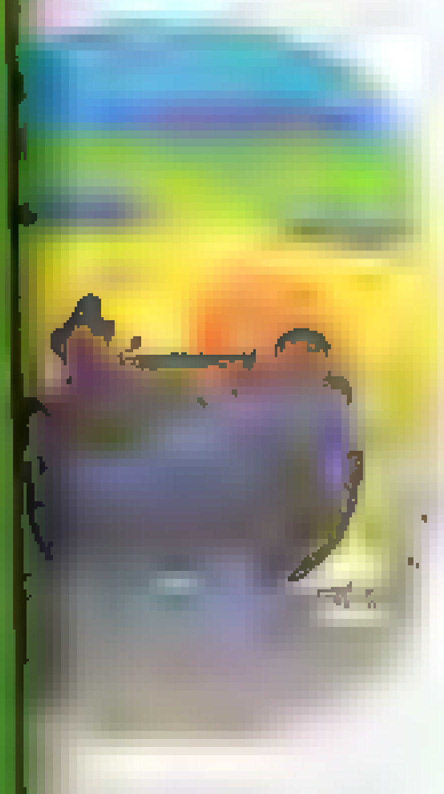


كانَ مَسْعود قَدِ ارْتَفَعَ فَوْقَ المِياهِ المُتَدَفِّقَةِ ، فأَسْرَعَ إلى صاحِبِهِ لِيُخَلِّصَهُ مِنَ البَحْرِ. ثمّ اتَّجَهَ إلى بُيوتِ الجيرانِ فأَنْقَذَ الصِّغارَ والكِبارَ.

شَقَّ مَسْعود المِياهَ بِاعْتِزازٍ شَديدٍ ، وأَحَسَّ أنَّ مُقَدِّمَتَهُ تَرْتَفِعُ عالِيًا اتَّجَهَ بِحِمْلِهِ ناحِيَةَ المَناطِقِ المُرْتَفِعَةِ مِنَ الأَرْضِ ، وهُناكَ نَزَلَ شاكِر والصِّغارُ والكِبارُ وهم يَشْكُرونَ الزَّوْرَقَ الشُّجاعَ.



وبَعْدَ هُدوءِ العاصِفَةِ ، أَقْبَلَ المُراسِلونَ الصَّحَفِيّونَ والمُصَوِّرونَ لِرُؤْيَةِ مَسْعود وإجْراءِ المُقابَلاتِ معه. فَظَهَرَتْ صُوَرُهُ في الصُّحُفِ والمَجَلّاتِ وأَصْبَحَ مَشْهورًا. ثمّ تَلَقّى من نادي اليُخوتِ دَعْوَةً لِلعَمَلِ فيه.



وأَصْبَحَ مَسْعود زَوْرَقَ النُّزْهَةِ الّذي يَنْقُلُ المُتَنَزِّهينَ في جَوْلاتٍ بَحْرِيَّةٍ قَصيرَةٍ. وعُيِّنَ شاكِر العَجوزُ مُراقِبًا في النّادي. وعاشَ العَجوزُ أَيّامَهُ يُراقِبُ بِاعْتِزازٍ زَوْرَقَهُ العَظيمَ يَشُقُّ مِياهَ البَحْرِ الفِضِّيَّةَ بِسَعادَةٍ غامِرَةٍ.



التِّنِّينُ المُشِعُّ



قالَ التِّنِّينُ الخَطيرُ تارو ، وكانَ رَئيسَ مَدْرَسَةِ التَّنانينِ : «والآنَ ، لِيَنْفُثْ كُلُّ واحِدٍ نَفْثَةً طَويلَةً بَطيئَةً ، كما سأفْعَلُ أنا الآنَ.»

راقَبَ التِّنِّينُ الفَتِيُّ تَنّور والِدَهُ الخَطيرَ تارو ، وهو يَنْفُثُ نَفْثَةً طَويلَةً بَطيئَةً فَيَخْرُجُ مِنْ مِنْخَرَيْهِ الواسِعَيْنِ شُعْلَتانِ مُسْتَعِرَتانِ طَويلَتانِ. لَفَّتْ سُحُبُ الدُّخانِ أَسْوارَ القَلْعَةِ الَّتي كانَ يَجْري عِنْدَها الدَّرْسُ الأَوَّلُ في إطْلاقِ اللَّهَبِ لِلتَّنانينِ الفَتِيَّةِ.

نَفَثَ تَنّور نَفْثَةً طَويلَةً بَطيئَةً فلم يَخْرُجْ من مِنْخَرَيْهِ إلّا حَنْقَةٌ ضَعيفَةٌ واحِدَةٌ مِنَ الدُّخانِ. لم يَصْدُرْ عنه حتّى ولا شَرارَةٌ واحِدَةٌ. أمّا سائِرُ التَّنانينِ الفَتِيَّةِ فقد

راحَتْ تُطْلِقُ الشَّرَرَ أَلْوانًا ، وامْتَدَّتْ أَلْسِنَةُ اللَّهَبِ الحَمْراءُ والزَّرْقاءُ والخَضْراءُ والصَّفْراءُ والبُرْتُقالِيَّةُ تَتَراقَصُ في ساحَةِ القَلْعَةِ.

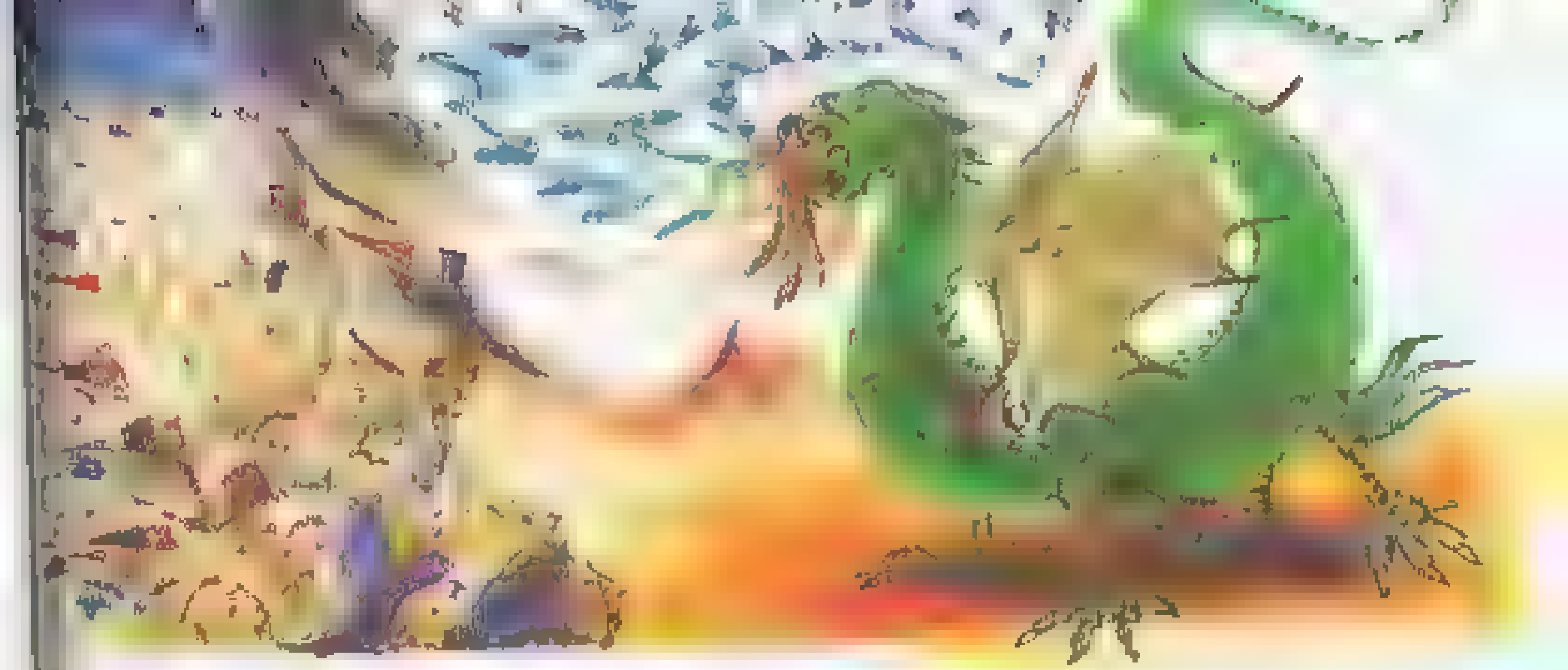
أَحَسَّ تَنّور بِالخَجَلِ وانْسَحَبَ إلى الحَديقَةِ ، وسَمِعَ أباهُ تارو يُخاطِبُ تَلاميذَهُ قائِلًا : «غدًا سيَخْتارُ المَلِكُ والنُّبَلاءُ التَّنانينَ الفَتِيَّةَ الَّتي سَتَحْرُسُ بَوّاباتِ القِلاعِ... أَحْسَنْتَ يا شَعْلان! أَكْثِرْ مِنَ اللَّهَبِ وقَلِّلْ مِنَ الدُّخانِ.»

تَنَهَّدَ تَنّور بِحُزْنٍ وقالَ في نَفْسِهِ : «لَنْ يَرْغَبَ أَحَدٌ في أَنْ أَكونَ حارِسًا عِنْدَ بَوّابَةِ قَلْعَتِهِ.» كانَ رَمادِيَّ اللَّوْنِ صَغيرَ الجِسْمِ. وكَمْ كانَ يَتَمَنّى لو كانَ لَوْنُهُ أَخْضَرَ كَلَوْنِ صَديقِهِ شَعْلان ، أو أَسْوَدَ وذَهَبِيًّا كَلَوْنِ أبيهِ تارو.

وكانَ المَلِكُ ونُبَلاؤُهُ في مَمْلَكَةِ تَيّارا يَحْتَفِظونَ بِتَنانينَ تَقِفُ عِنْدَ بَوّاباتِ القِلاعِ ، لا لِإفْزاعِ النّاسِ بَلْ لِلتَّرْحيبِ بِهِمْ. وكانَ يُقامُ في كُلِّ عامٍ مُباراةٌ لاخْتِيارِ أَفْضَلِ التَّنانينِ الفَتِيَّةِ القاذِفَةِ لِلَّهَبِ. ويَحْتَفِظُ المَلِكُ بِالفائِزِ الأَوَّلِ ، ثُمَّ يأْخُذُ كُلٌّ مِنَ النُّبَلاءِ التِّنِّينَ الَّذي يَقَعُ عَلَيْهِ اخْتِيارُهُ

قالَتْ تارا لابْنِها تَنّور : «أَعْرِفُ أَنَّكَ صَغيرُ الجِسْمِ ، ولا تَقْذِفُ لَهَبًا لكِنْ أُريدُكَ أَنْ تَبْدُوَ نَظيفًا بَرّاقَ الجِسْمِ.» ثُمَّ راحَتْ تَفْرُكُ حَراشِفَهُ واحِدَةً واحِدَةً حتّى بَدا التِّنِّينُ الصَّغيرُ يَتَأَلَّقُ تَأَلُّقًا.

كانَتِ التَّنانينُ المُتَبارِيَةُ في تِلْكَ السَّنَةِ خَمْسَةً. جَلَسَ المَلِكُ والنُّبَلاءُ والسَّيِّداتُ يُراقِبونَ. فأَحَسَّ تارو بأَهَمِّيَّتِهِ في ذلِكَ اليَوْمِ المَشْهودِ ، وأَخَذَ يُخاطِبُ التَّنانينَ بِوَقارٍ وجَلالٍ. وقالَ لابْنِهِ تَنّور : «أَنْتَ الأَصْغَرُ جِسْمًا ، فَكُنْ في آخِرِ الصَّفِّ»



أَشعَّتِ الشَّمسُ على حَراشِفِ التَّنانينِ الفَتِيَّةِ ، وعلى الرّاياتِ المُلَوَّنةِ الّتي كانَتْ تُرَفْرِفُ فَوْقَ جَوانِبِ المَيْدانِ.

ثُمّ بَدأَتِ المُباراةُ ، وكانَ شَعْلان أَوَّلَ المُتَبارين. أَطْلَقَ لَهَبًا أَزْرَقَ قَوِيًّا ، بَدا وكأَنَّهُ قَوْسٌ من نارٍ. فصاحَ المَلِكُ :

«هٰذا التِّنّينُ لي ! لم أَرَ مَثيلًا له مِنْ قَبْلُ. سآخُذُهُ حتّى ولَوْ لم يَكُنِ الفائِزَ.»

ثمّ جاء دَوْرُ التِّنّينِ الثّاني ، فأَطْلَقَ لَهَبًا ذَهَبيًّا ، بَدا وكأنَّهُ البَرْقُ. وسُرْعانَ ما وَقَعَ اختيارُ أَحَدِ النُّبَلاءِ عَلَيْهِ

وأَطْلَقَ التِّنّينُ الثّالِثُ ، وكانَ أَزْرَقَ اللَّوْنِ ، نافورةً مِنَ اللَّهَبِ الأَخْضَرِ. فاختارَهُ أَحَدُ النُّبَلاءِ أيضًا

وأَطْلَقَ التِّنّينُ الرّابِعُ لَهَبًا أَحْمَرَ طَويلًا كادَ يُصيبُ النُّبَلاءَ والنَّبيلاتِ. واختارَتْ إحْدى النَّبيلاتِ ذٰلِكَ التِّنّينَ.

قالَ تَنّور في نَفْسِهِ «اختيرَتِ التَّنانينُ كُلُّها ، وسيَجِدُ حتّى غيرُ الفائزِ منها مَكانًا يَحْرُسُهُ.»

دَفَعَ تارو ابْنَهُ إلى الأَمامِ قائِلًا : «الآنَ دَوْرُكَ» تَقَدَّمَ تَنّور خائِفًا مُرْتَبِكًا ، وداسَ وهو يَخْطو ذَنَبَهُ ، فأَحَسَّ بالحَرَجِ الشَّديدِ.

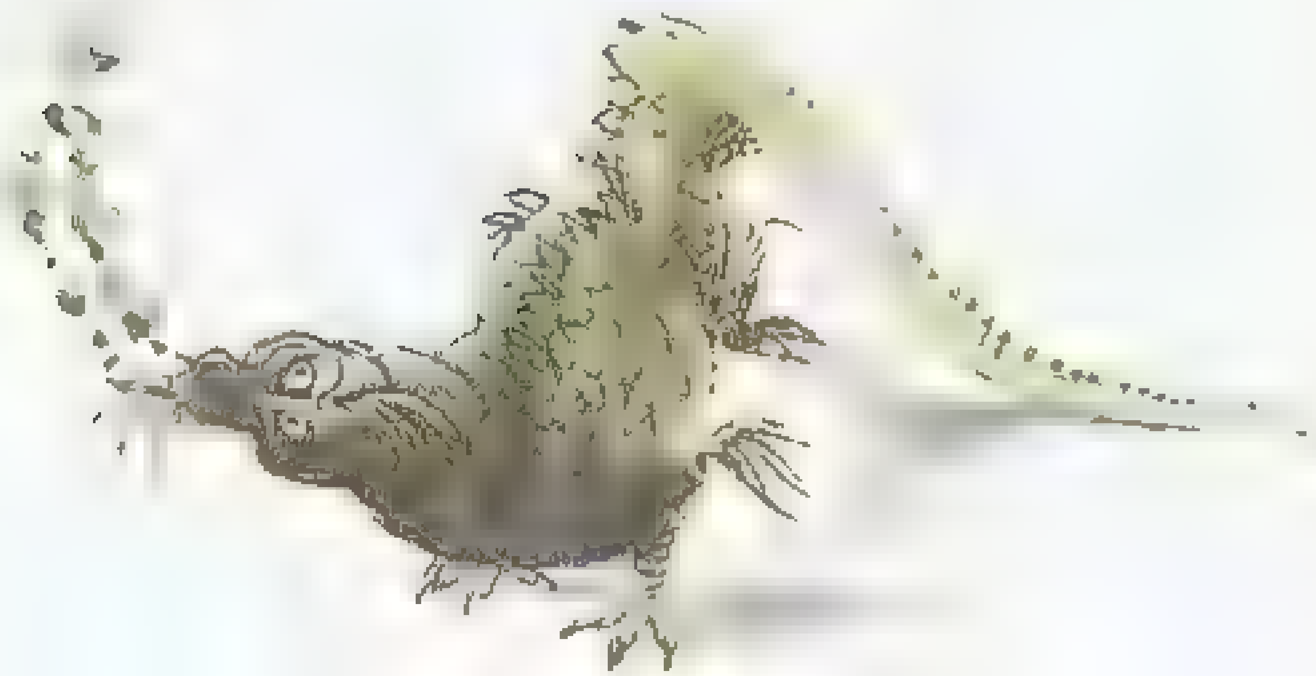
صاحَتْ إحْدى السَّيِّداتِ : «إنَّهُ تِنّينٌ صَغيرٌ جِدًّا لا فائِدَةَ من مُشاهَدَتِهِ.»

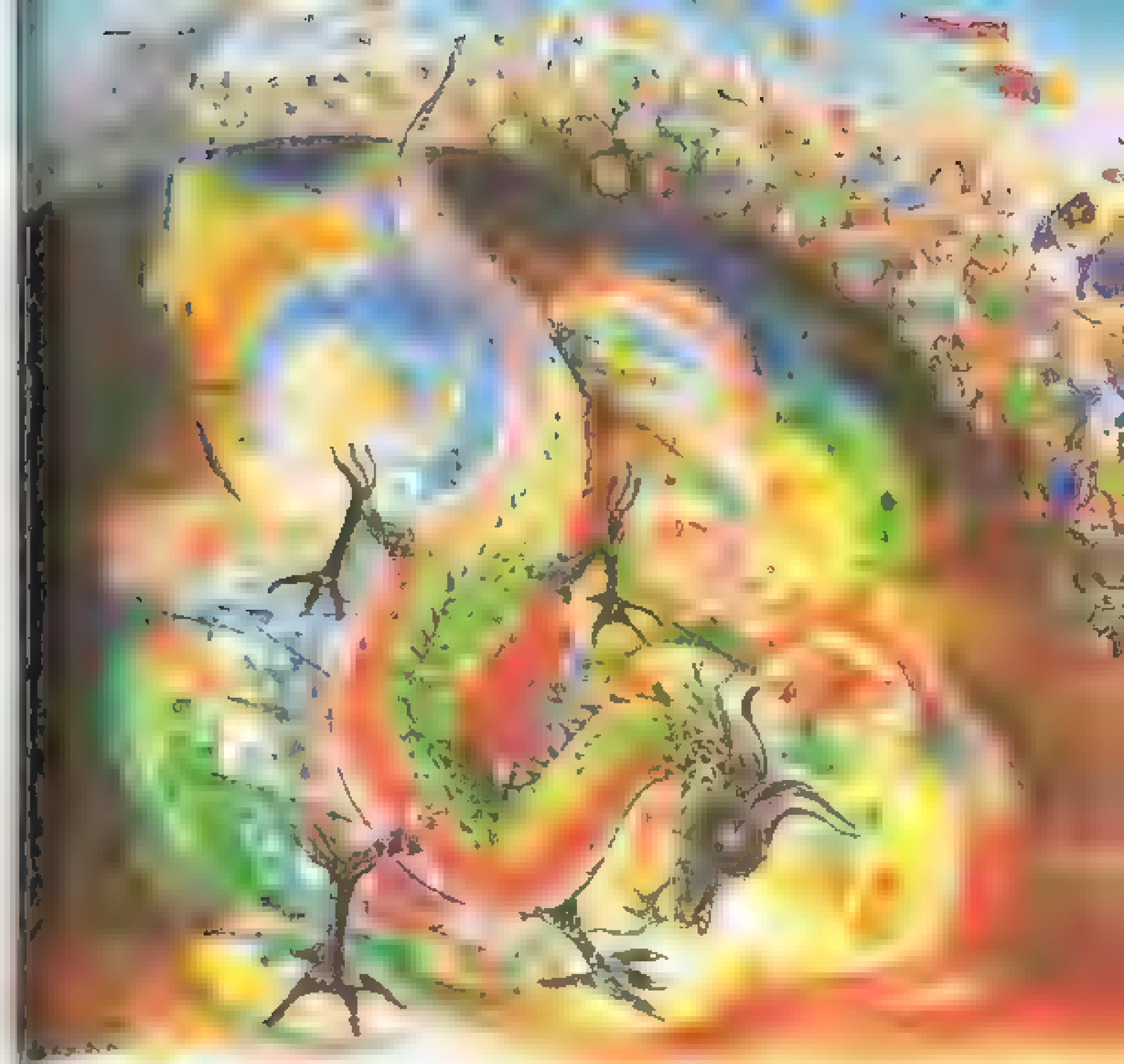
لكِنَّ فَتاةً صَغيرةً قالَتْ : «إنَّهُ لَطيفٌ جِدًّا !» فأَحَسَّ تَنّور بِشَيْءٍ مِنَ الشَّجاعَةِ ، وأَخَذَ نَفَسًا عَميقًا ، كَما عَلَّمَهُ أَبوهُ ، ونَفَخَ نَفْخَةً طَويلَةً بَطيئَةً.

لم يَخْرُجْ من مِنْخَرَيْ تَنّور إلّا حَلْقَةٌ ضَعيفَةٌ مِنَ الدُّخانِ. وسادَ صَمْتٌ قَصيرٌ. ثُمّ بَدَأَ أَحَدُ المُشاهِدينَ يَضْحَكُ. وسُرْعانَ ما غَلَبَ الضَّحِكُ على النّاسِ. حتّى المَلِكُ نَفْسُهُ ارْتَسَمَتْ على شَفَتَيْهِ ابْتِسامَةٌ خَفيفَةٌ.

لكِنَّ صَوْتًا ارْتَفَعَ فَوْقَ ضِحْكاتِ النّاسِ يَقولُ «لا تَضْحَكوا عَلَيْهِ ، فإنَّهُ حاوَلَ جَهْدَهُ !» وكانَ ذٰلِكَ صَوْتَ الفَتاةِ الصَّغيرةِ نَفْسِها الّتي قالَتْ إنَّهُ لَطيفٌ وكانَ اسْمُها سَمارَة.

قالَتْ سَمارَة لِلمَلِكِ : «أَرْجوكَ أَعْطِهِ فُرْصَةً أُخْرى !»





خَفَضَ تَنّور رَأْسَهُ ، وأَحَسَّ أنَّ حَراشِفَهُ تَشْتَعِلُ خَجَلًا. ثُمَّ تَنَهَّدَ تَنَهُّدَةً عَمِيقَةً طَوِيلَةً ، فَرَأَى أَضْواءً مُلَوَّنَةً تَتَراقَصُ أَمامَ عَيْنَيْهِ.

تَوَقَّفَ الضَّحِكُ فَجْأَةً ، وسادَ صَمْتٌ. أَطْلَقَ تَنّور وَسَطَ السُّكونِ تَنَهُّدَةً أُخْرى أَعْمَقَ مِن سابِقَتِها وأَطْوَلَ. وما إِنْ فَعَلَ ذٰلِكَ حَتّى تَوَهَّجَ جَسَدُهُ كُلُّهُ بِنورٍ مُشِعٍّ. وتَأَلَّقَ الهَواءُ مِن حَوْلِهِ بِأَنْوارٍ مِن كُلِّ الأَلْوانِ. وراحَتِ الأَنْوارُ حَوْلَهُ تَتَراقَصُ وتَتَحَوَّلُ أَلْوانًا وأَشْكالًا في جَمالٍ أَخّاذٍ. شَهَقَ الجَميعُ شَهَقاتِ انْدِهاشٍ وفَرَحٍ ، وصاحوا يَطْلُبونَ مِن تَنّور المَزيدَ.

فَتَحَ التِّنّينُ الرَّمادِيُّ الصَّغيرُ عَيْنَيْهِ الدّامِعَتَيْنِ ورَفَعَ رَأْسَهُ إلى النّاسِ. ثُمَّ أَطْلَقَ تَنَهُّدَةَ سَعادَةٍ في الوُجوهِ السَّعيدَةِ الّتي كانَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فازْدادَ جَسَدُهُ تَأَلُّقًا وبَريقًا ، فَبانَ يَنْظُرُ إلى جَسَدِهِ البَرّاقِ بِسَعادَةٍ عَظيمَةٍ. وتَوَسَّلَتْ سَمارَة إلى أَبيها قائِلَةً «أَرْجوكَ يا أَبي ، هَلْ لي أَنْ آخُذَهُ مَعي إلى البَيْتِ؟»

أَجابَ والِدُها وهو يَنْظُرُ إِلَيْها : «عَلَيْنا أَنْ نَرى أَوَّلًا إِنْ كانَ المَلِكُ يُريدُهُ. أَرْجو أَلّا تَحْزَني إذا فازَ. فالفائِزُ ، كَما تَعْلَمينَ ، مِن نَصيبِ المَلِكِ.»

وَقَفَتْ سَمارَة تُراقِبُ الحُكّامَ يَتَشاوَرونَ في مَنْحِ الجائِزَةِ. كانَتْ تُريدُ أَنْ يَكونَ تَنّور الفائِزَ ، لٰكِنَّها كانَتْ ، في الوَقْتِ نَفْسِهِ تَخافُ أَنْ تَخْسَرَهُ إذا هو فازَ. أَخيرًا وَقَفَ المَلِكُ لِيُعْلِنَ اسْمَ الفائِزِ ، فالْتَفَتَ الجَميعُ إِلَيْهِ. قالَ : «إِنَّ الفائِزَ في مُباراةِ هٰذا العامِ هو التِّنّينُ شَعْلان. لَمْ نَرَ أَبَدًا مَثيلًا لِلَهَبِهِ.»

صَفَّقَ الجُمْهورُ طَويلًا حينَ عَلَّقَ المَلِكُ ميدالِيَّةً حَوْلَ عُنُقِ شَعْلان ، مَعَ أَنَّ الكَثيرينَ كانوا يَنْتَظِرونَ أَنْ يَكونَ تَنّور الفائِزَ. تابَعَ المَلِكُ كَلامَهُ قائِلًا :

«لَقَدْ قَدَّمَ لَنا تَنّور عَرْضًا مُذْهِلًا. أَنا واثِقٌ أَنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنّا يُحِبُّ أَنْ يَكونَ تَنّور عِنْدَ بَوّابَةِ قَلْعَتِهِ. ولٰكِنَّنا لَمْ نَمْنَحْهُ الجائِزَةَ ، لِأَنَّنا نَمْنَحُها لِلتِّنّينِ الَّذي يَتَفَوَّقُ في قَذْفِ اللَّهَبِ. آمُلُ أَلّا يُزْعِجَهُ قَرارُنا. إِنَّ مَمْلَكَةَ تِبّار فَخورَةٌ أَنْ خَرَجَ مِنْها أَوَّلُ تِنّينٍ مُشِعٍّ.»

شَدَّتْ سَمارَة كُمَّ أَبيها ، فَأَسْرَعَ أَبوها يُبْدي بِأَعْلى صَوْتِهِ رَغْبَتَهُ في اخْتِيارِ تَنّور. كَثيرونَ غَيْرُهُ رَغِبوا في تَنّور ، لٰكِنَّ سَمارَة سَبَقَتْهُمْ كُلَّهُمْ ، فَأَخَذَتْ تِنّينَها المُشِعَّ وخَرَجَتْ.

أَخَذَ النّاسُ يَتَوافَدونَ من بِقاعِ مَمْلَكَةِ تَيْنارا لِيُشاهِدوا حارِسَ قَلْعَةِ والِدِ سَمارَة. كانَتِ الأَلْوانُ الرّائِعَةُ تَتَراقَصُ عالِيًا ، وتَتَبَدَّلُ وتَتَلَوَّنُ أَشْكالًا. وكانَ مَشْهَدُ التِّنّينِ المُشِعِّ مُثيرًا وبِخاصَّةٍ في اللَّيْلِ. فَقَدْ كانَ يَبْدو مُشِعًّا مِنْ رَأْسِهِ إلى ذَيْلِهِ. ولم يَكُنْ أَحَدٌ يَرْغَبُ في العَوْدَةِ إلى البَيْتِ قَبْلَ ذَهابِ تَنّور إلى النَّوْمِ.

مَرَّتِ الأَيّامُ وكَبُرَتْ سَمارَة فَتَزَوَّجَتْ أَميرًا من أُمَراءِ تِلْكَ البِلادِ. واشْتَرَكَ تَنّور بِحَفْلِ العُرْسِ ، فَقَدَّمَ عَرْضًا مُذْهِلًا لِلأَلْوانِ الّتي كانَتْ تَتَراقَصُ بِأَشْكالٍ فاتِنَةٍ لم يَشْهَدِ النّاسُ مَثيلًا لها مِنْ قَبْلُ

تَتَأَلَّقُ السَّماءُ في بِلادِ الشَّمالِ الجَليدِيَّةِ بِأَضْواءٍ بَرّاقَةٍ أَحْيانًا. يُسَمّي النّاسُ هُناكَ تِلْكَ الأَضْواءَ بِالرّاقِصاتِ المَرِحاتِ. لٰكِنْ لَعَلَّها ، نَقولُ لَعَلَّها ، أَضْواءُ تَنّور الّذي يَحْرُسُ مَنْزِلَ سَمارة في بَلَدٍ بَعيدٍ بَعيدٍ.



حِمارُ الزَّرَد





في إفريقيةَ حيوانٌ شبيهٌ بالحمارِ ، ولكِنَّهُ بَرِّيٌّ ومُخطَّطٌ ، يُعرَفُ بحِمارِ الزَّرَدِ.

كانَتْ جَماعَةٌ من حَميرِ الزَّرَدِ الصَّغيرةِ تَلْعَبُ ذاتَ يَوْمٍ لُعبَةَ الإسْتِخْباء ، فتَتَنقَّلُ من شَجَرَةٍ إلى شَجَرَةٍ بَيْنَ الحَشيشِ العالي دونَ أَنْ يَراها أَحَدٌ.

وكانَ من بَيْنِ حَميرِ الزَّرَد الصَّغيرةِ تِلْكَ حِمارٌ صَغيرٌ شُجاعٌ اسْمُهُ زَرّود. تَسَلَّقَ زَرّود بَعضَ الصُّخورِ العالِيَةِ واختَبأَ وَراءَ نَسيجِ عَنْكَبوتٍ كَبيرٍ. ولَمْ يَكْتَشِفْ مَكانَهُ أَحَدٌ.

فَصاحَ بِفَرَحٍ : «رَبِحْتُ ! رَبِحْتُ ! كُنْتُ أَعْرِفُ أَنّي سأَرْبَحُ ! » وبَيْنَما هو يَقْفِزُ فَرَحًا زَلَقَتْ قَدَمُهُ ووَقَعَ من فَوْقِ الصُّخورِ العالِيَةِ.

أَسْرَعَتْ حَيَواناتُ الأَدْغالِ لِمُساعَدَتِهِ وقد أَصابَها خَوْفٌ شَديدٌ عَلَيْهِ. قَفَزَ زَرّود باسِمًا وقالَ لأَصْدِقائِهِ مُطَمْئِنًا : «أَنا بِخَيْرٍ.»

لكِنَّ أَحَدَ أَصْدِقائِهِ قالَ : «أَنْتَ لَسْتَ بِخَيْرٍ ! إنَّ شَكْلَكَ غَريبٌ عَجيبٌ ! » ورَأَى زَرّود في عُيونِ أَصْدِقائِهِ نَظَراتِ خَوْفٍ وإِشْفاقٍ. والواقِعُ أَنَّ سُقوطَ زَرّود من ذلِكَ المَكانِ العالي





قد غَيَّرَ خُطوطَ جِلْدِهِ الجَميلَةَ وحَوَّلَها إلى مُرَبَّعاتٍ بَيْضاءَ وسَوْداءَ.

دَمَعَتْ عَيْنا زَرّود وقالَ بِصَوْتٍ حَزينٍ. «ماذا أَفْعَلُ؟» فقالَ رِفاقُهُ الَّذينَ خافوا من شَكْلِهِ الجَديدِ : «إرْحَلْ عَنّا. لَنْ نَلْعَبَ مَعَكَ بَعْدَ اليَوْمِ.»

مَشى زَرّود وَحْدَهُ حَزينًا. فقد تَخَلَّى عَنْهُ رِفاقُهُ. حتّى صَديقَتُهُ الزَّرقَةُ تَرَكَتْهُ !

وَصَلَ أَخيرًا إلى بَلْدَةٍ ، فالْتَفَتَ النّاسُ كُلُّهُم يَنْظُرونَ بِعَجَبٍ إلى حِمارِ الزَّرَدِ ذي المُرَبَّعاتِ. ثُمَّ اقْتَرَبَ رَجُلٌ مِنْهُ وهَمَسَ في أُذُنِهِ قائِلًا : «أَعْرِفُ مَكانًا يُناسِبُكَ ، يا صَديقي الصَّغيرَ العَجيبَ. أَتَأْتي مَعي إلى حَديقَةِ الحَيَوانِ؟»

كانَتْ حَديقَةُ الحَيَوانِ مَكانًا رائِعًا ، وَجَدَ زَرّود فيهِ التَّسْلِيَةَ والسَّعادَةَ.

اِلتفَّ الأَوْلادُ حَوْلَ زَرّود وأَحَبّوا مُرَبَّعاتِهِ البَيْضاء والسَّوْداء ، وصاروا يَلْعَبونَ فَوْقَها أَلْعابَهُمُ الَّتي تَتطَلَّبُ رُقْعَةَ مُرَبَّعاتٍ.

وَجَدَ زَرّود سَعادَتَهُ في حَديقَةِ الحَيَوان ، فلم يَعُدْ يُحِسُّ بِالحَسْرَةِ. وكانَ يَزْدادُ سَعادَةً كُلَّما زادَ عَدَدُ الأَطْفالِ المُعْجَبينَ بِمُرَبَّعاتِهِ البَيْضاء والسَّوْداء.





عِيدُ الغَرَائِب

كانَ كُلُّ مَنْ في البَلْدَةِ يُحِسُّ بِالضَّجَرِ والمَلَلِ. حتّى الحَيَواناتُ كانَتْ تُحِسُّ بِالضَّجَرِ. وكانَ الجَميعُ يَتَمَنّى لَوْ أَنَّ شَيْئًا مُثيرًا يَحْدُثُ فَيُجَدِّدُ بَهْجَتَهُمْ.

أَخَذَ الكَثيرونَ يَنْتَظِرونَ حُدوثَ ذلِكَ الشَّيْءِ المُثيرِ. لكِنَّ انْتِظارَهُمْ طالَ، ولم يَحْدُثْ شَيْءٌ.

وقالَ بَعْضُهُمْ: «فَلْنُقِمِ احْتِفالًا.» لكِنَّهُمْ لم يَعْرِفوا أَيَّ احْتِفالٍ يُقيمون. مَرَّتِ الأَيّامُ وأَخَذَ النّاسُ يَزْدادونَ ضَجَرًا وخُمولًا حتّى الشَّمْسُ نَفْسُها بَدَتْ أَقَلَّ إِشْعاعًا.

كانَ ساعي البَريدِ يَتَأَفَّفُ وهو يُوَزِّعُ الرَّسائلَ والطُّرودَ يَوْمِيًّا.

وكانَ الخَبّازُ يَتَأَفَّفُ وهو يَخْبِزُ الخُبْزَ والكَعْكَ يَوْمِيًّا.

وكانَ سائِقُ الباصِ يَتَأَفَّفُ وهو يَقودُ الباصَ في الشَّوارِعِ نَفْسِها يَوْمِيًّا.

ثُمَّ خَرَجَ مُحافِظُ البَلْدَةِ ذاتَ يَوْمٍ بِفِكْرَةٍ جَديدَةٍ. دَعا سُكّانَ البَلْدَةِ كُلَّهُمْ إِلى اجْتِماعٍ في المَيْدانِ الكَبيرِ، وقالَ لَهُمْ: «فَلْيَكُنْ عِنْدَنا عيدٌ لِلغَرائِبِ.»

بَدا الاهْتِمامُ على وُجوهِ النّاسِ، وسَأَلوا عن عيدِ الغَرائِبِ ذاكَ. فَشَرَحَ المُحافِظُ أَنَّهُ في عيدِ الغَرائِبِ يَكونُ كُلُّ شَيْءٍ مُخْتَلِفًا عن حالِهِ في الأَيّامِ العادِيَّةِ الأُخْرى. لا يَفْعَلُ الإِنْسانُ فيه ما يَفْعَلُهُ عادَةً، ولا يَقومُ المُوَظَّفونَ فيه بِأَعْمالِهِمْ نَفْسِها، ويَكونُ يَوْمَ عُطْلَةٍ لِطُلّابِ المَدارِسِ. حتّى الحَيَواناتُ تُصْدِرُ في ذلِكَ اليَوْمِ أَصْواتًا مُخْتَلِفَةً عَنْ أَصْواتِها العادِيَّةِ. ويُقامُ في المَيْدانِ الكَبيرِ احْتِفالٌ ضَخْمٌ في ذلِكَ اليَوْمِ، فلا يُحِسُّ أَحَدٌ بَعْدَ ذلِكَ بِالضَّجَرِ.



اِتَّفَقوا على أَنْ يَكونَ السَّبْتُ التّالي يَوْمَ عيدِ الغَرائِبِ، وشَرَعوا يَسْتَعِدّونَ.

أَشْعَّتِ الشَّمْسُ في صَباحِ يَوْمِ السَّبْتِ ساطِعَةً. اِرْتَفَعَتِ الرّاياتُ في الشَّوارِعِ، وعُلِّقَتِ البالوناتُ المُلَوَّنَةُ على الأَعْمِدَةِ والأَشْجارِ والشَّبابيكِ ومُدَّتْ في الشَّوارِعِ مَوائِدُ الطَّعامِ العامِرَةُ. فلم يُحِسَّ أَحَدٌ بِالضَّجَرِ. لقد أَرادوا احْتِفالًا فكانَ لَهُمُ احْتِفالٌ عَظيمٌ!

في ذلِكَ اليَوْمِ وَزَّعَ ساعي البَريدِ، رَغْبَةً في التَّغْييرِ، قَناني الحَليبِ وباعَ الخَبّازُ اللُّحومَ، وقادَ سائِقُ الباصِ عَرَبَةَ حِصانٍ وحَمَلَ مَعَهُ الأَوْلادَ الفَرِحينَ في نُزْهَةٍ إِلى الحَديقَةِ العامَّةِ.

أَحَسَّ الجَميعُ بِالسَّعادَةِ، وضَحِكوا كَثيرًا. كانَ الواحِدُ مِنْهُمْ في ذلِكَ اليَوْمِ يَفْعَلُ ما يَخْطُرُ بِبالِهِ، لا ما هو مُعْتادٌ عَلَيْهِ. اِسْتَمَرَّ الحَفْلُ في المَيْدانِ الكَبيرِ طَوالَ النَّهارِ، وراحَ النّاسُ يُغَنّونَ أُغْنِيَةً نَظَمَها مُحافِظُ المَدينَةِ، دونَ التَّقَيُّدِ بِأَيِّ لَحْنٍ. فلم يَكُنْ على الإِنْسانِ أَنْ يَتَقَيَّدَ في ذلِكَ اليَوْمِ بِأَيِّ قَيْدٍ.

وكانَتِ الأُغْنِيَةُ تقولُ:

إنَّ بيّاعَ الحليبْ يَحْمِلُ اليَوْمَ الرَّسائِلْ
وانْظُروا ساعي البَريدْ صارَ بيّاعَ فَلافِلْ
لَيْسَ في الأَمْرِ غَرابَةْ إنَّهُ عيدُ الغَرائِبْ

* * *

أَتَرى تِلْكَ الكِلابْ؟ إنَّها اليَوْمَ تَموءْ
أَتَرى تِلْكَ القِطَطْ؟ إنَّها تَعْوي فَقَطْ
لَيْسَ في الأَمْرِ غَرابَةْ إنَّهُ عيدُ الغَرائِبْ

* * *

في اليَوْمِ التّالي ذَهَبَ النّاسُ إلى أَعْمالِهِمْ، وعادَ التَّلاميذُ إلى مدارِسِهِمْ. وعادَتِ الحَيَواناتُ إلى أَصْواتِها المَأْلوفَةِ. وكانَ كُلُّ واحِدٍ راضِيًا بِعَمَلِهِ بَعْدَ أَنْ زالَ عَنْهُ الضَّجَرُ.

بَدا ساعي البَريدِ راضِيًا وهو يُوَزِّعُ الرَّسائِلَ والطُّرودَ. وبَدا الخَبّازُ راضِيًا وهو يَخْبِزُ الخُبْزَ والكَعْكَ. وبَدا سائِقُ الباصِ راضِيًا وهو يَقودُ الباصَ في الشَّوارِعِ نَفْسِها.

وقَرَّرَ سُكّانُ البَلْدَةِ أَنْ يَحْتَفِلوا بِعيدِ الغَرائِبِ سَنَوِيًّا، فَقَدِ اكْتَشَفوا أَنَّ التَّغْييرَ يُزيلُ عَنْهُمُ الضَّجَرَ ويُشْعِرُهُمْ بِالسَّعادَةِ والانْشِراحِ.

وأَحَسَّ المُحافِظُ بِالسَّعادَةِ أَيْضًا، فَلَنْ يَشْكُوَ أَحَدٌ من سُكّانِ بَلْدَتِهِ مِنَ الضَّجَرِ بَعْدَ اليَوْمِ.



جِنِّيّاتُ القَمَر



كانَتْ سَوْسَن ، وهي لم تتجاوز الخامسة من عُمْرِها بَعْدُ ، أسْعَدَ أطْفالِ الأرْضِ. فقد كانَتْ تُخْفي في صَدْرِها سِرًّا. وكانَتْ تَعْلَمُ أنَّها لو باحَتْ بِذلِكَ السِّرِّ لما صَدَّقَها أحَدٌ ، لِذا احْتَفَظَتْ بِهِ لِنَفْسِها. وكانَ وَجْهُها يَطْفَحُ بِشْرًا كُلَّما نَظَرَتْ إلى كِتابِها الَّذي يَرْوي حِكاياتِ الجِنِّيّاتِ. كانَتْ تَعْلَمُ أنَّ كِتابَها قامَ بِجَوْلاتٍ واسِعَةٍ في العالَمِ الوَسيعِ. ومِنْ أغْرَبِ الأمورِ أنَّها كانَتْ لا تَزالُ تَحْتَفِظُ بالكِتابِ ، رُغْمَ أنَّها كانَتْ قد تَخَلَّتْ عَنْهُ. وإلَيْكَ قِصَّةَ ذلِكَ.

كانَتْ سَوْسَن في إحْدى لَيالي الصَّيْفِ تَسْتَمِعُ إلى أُمِّها وهي تَقْرَأُ لها حِكايَةً من كِتابِ الجِنِّيّاتِ. أمْسَكَتْ سَوْسَن الكِتابَ وراحَتْ تُقَلِّبُ صَفَحاتِهِ فأحَسَّتْ بالنُّعاسِ. فَجْأَةً سَمِعَتْ صَوْتًا ناعِمًا جِدًّا آتِيًا مِنَ الخارِجِ. أطَلَّتْ مِنَ الشُّبّاكِ المُجاوِرِ لِسَريرِها وحَدَّقَتْ في الظِّلالِ والأطْيافِ الَّتي تَراقَصَتْ أمامَها ، فَرَأَتْ تَحْتَ الشُّبّاكِ جِنِّيَّةً رَقيقَةً صَغيرَةً لم يَرَ أحَدٌ مَثيلًا لها في رِقَّتِها وصِغَرِها. كان

لِلجِنِّيَّةِ جَناحانِ شَفّافانِ ، فَبَدَتْ وكَأنَّها فَراشَةٌ. وكانَتْ تَلْبَسُ فُسْتانًا صَغيرًا يَتَأَلَّقُ في ضَوْءِ القَمَرِ. لقد كانَتْ حَقًّا فائِقَةَ الجَمالِ!

قالَتْ سَوْسَن : «مَرْحَبًا ، كُنْتُ أوشِكُ أنْ أنامَ.»

أجابَتِ الجِنِّيَّةُ الصَّغيرَةُ : «نَعَمْ ، أعْرِفُ ذلِكَ. فقد أُرْسِلْتُ لِحِراسَتِكِ في أثْناءِ النَّوْمِ. إسْمي «شُعاعُ القَمَرِ» ، وحِراسَةُ الأطْفالِ عَمَلي ، وأنا أُحِبُّ هذا العَمَلَ.» أحَسَّتْ سَوْسَن بالحَيْرَةِ لَحْظَةً ، ثُمَّ قالَتْ : «إذا كُنْتِ تَحْرُسينَ الأطْفالَ النّائِمينَ ، فَمَتى تَنامينَ أنْتِ؟»

ضَحِكَتِ الجِنِّيَّةُ الصَّغيرَةُ ، وقالَتْ : «أنامُ في النَّهارِ. فأنا جِنِّيَّةٌ قَمَرِيَّةٌ ، لا أظْهَرُ إلّا عِنْدَما يَطْلُعُ القَمَرُ.»

قالَتْ سَوْسَن : «لَيْتَني كُنْتُ مِثْلَكِ جِنِّيَّةً قَمَرِيَّةً. فالتَّجْوالُ وحِراسَةُ الأطْفالِ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ.» بَدا التَّفْكيرُ على الجِنِّيَّةِ لَحْظَةً ، ثُمَّ قالَتْ : «أتَرْغَبينَ في زِيارَةِ جِنِّيّاتِ القَمَرِ؟»

هَتَفَتْ سَوْسَن : «أتَمَنّى! لكِنْ كَيْفَ نَصِلُ إلى القَمَرِ؟»

أجابَتِ الجِنِّيَّةُ : «الأمْرُ سَهْلٌ. ما عَلَيْكِ إلّا أنْ تُمْسِكي يَدي وتَطيري مَعي.»

قَفَزَتْ سَوْسَن من سَريرِها ، ثُمَّ تَوَقَّفَتْ وقالَتْ : «أُريدُ أنْ أحْمِلَ إلى جِنِّيّاتِ القَمَرِ هَدِيَّةً.» نَظَرَتْ حَوْلَها لَحْظَةً ثُمَّ قالَتْ : «آهِ ، سآخُذُ لَهُنَّ كِتابَ حِكاياتِ الجِنِّيّاتِ ، فإنَّ فيهِ رُسومًا بَديعَةً مُسَلِّيَةً.»

اِبْتَسَمَتِ الجِنِّيَّةُ ، وقالَتْ : «ما ألْطَفَ فِكْرَتَكِ! والآنَ تَعالَيْ. أمْسِكي يَدي بِقُوَّةٍ لِنَطيرَ.»

طارَتْ شُعاعُ القَمَرِ وسَوْسَن عالِيًا في فضاءِ اللَّيْلِ ، يَدُ الواحِدَةِ مِنْهُما في يَدِ الأُخْرى. وراحَتا تَعْلُوانِ في طَيَرانِهِما وتَعْلُوانِ. ولاحَظَتْ سَوْسَن شَيْئًا غَريبًا ، فقد كانَ الكِتابُ في يَدِها يَزْدادُ ثِقْلًا كُلَّما ازْدادَتْ عُلُوًّا.

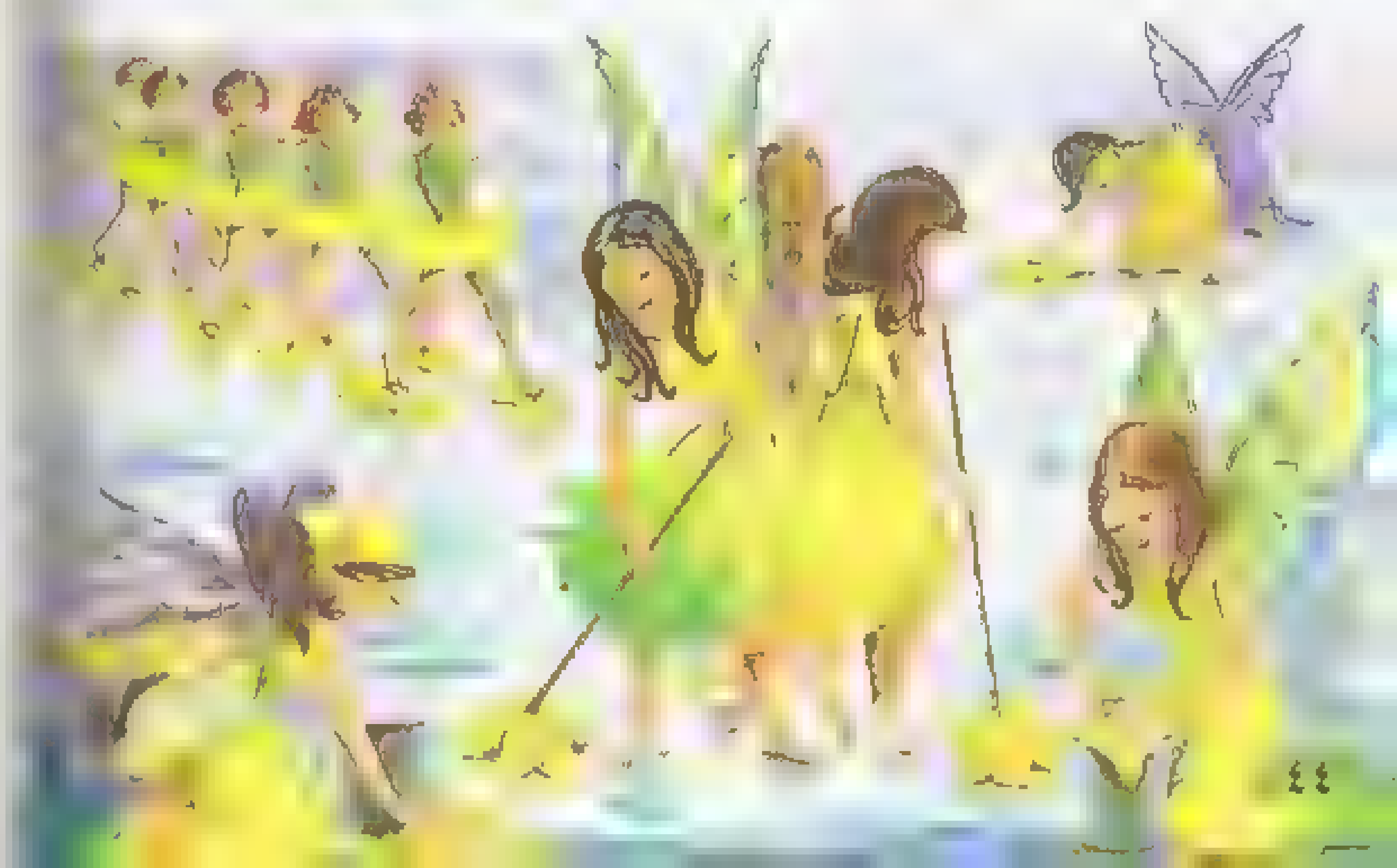
تابَعَتْ شُعاعُ القَمَرِ وسَوْسَن طَيَرانَهُما في الفَضاءِ الرَّحيبِ. وأشارَتْ شُعاعُ القَمَرِ إلى جانِبٍ في الفَضاءِ شَديدِ السُّطوعِ ، وقالَتْ لِسَوْسَن إنَّ ذلِكَ الجانِبَ يُعْرَفُ بالمجَرَّةِ.

فَجْأَةً حَطَّتا بِرِفْقٍ على سَطْحِ نَجْمٍ مُنيرٍ. وكانَ يَسودُ المَكانَ هُدوءٌ تامٌّ ، فقالَتِ الجِنِّيَّةُ : «لا داعِيَ لِلصِّياحِ الآنَ ، يَكْفي الهَمْسُ.»

سَأَلَتْ سَوْسَن : «ما الَّذي يَدْعونا إلى الهَمْسِ؟»

أجابَتْ شُعاعُ القَمَرِ : «سَتَعْرِفينَ السَّبَبَ بَعْدَ قَليلٍ ، لكِنْ تَعالَيْ أَوَّلًا لِتَرَيْ جِنِّيّاتِ القَمَرِ في أَثْناءِ عَمَلِهِنَّ.»

مَشَتا على رُؤوسِ أَصابِعِهِما مَسافَةً قَصيرَةً . ثُمَّ رَأَتْ سَوْسَن أَمامَها عَشَرات



جِنِّيّاتِ الصَّغيراتِ وهُنَّ يَعْمَلْنَ بِجِدٍّ ونَشاطٍ. كُنَّ يُلَمِّعْنَ النَّجْمَ لِيَزْدادَ تَأَلُّقًا في الفَضاءِ.

قالَتْ سَوْسَن في انْدِهاشٍ : «يا اللهُ! لم أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّكُنَّ تُلَمِّعْنَ النُّجومَ.»

«عَلَيْنا أَنْ نُبْقِيَ النُّجومَ كُلَّها بَرّاقَةً ، وهٰذا عَمَلٌ يَسْتَغْرِقُ وَقْتَنا كُلَّهُ. فالنُّجومُ كَثيرَةٌ ، كما أَنَّنا لا نَعْمَلُ إلّا لَيْلًا.» إنَّ في الفَضاءِ مَلايينَ النُّجومِ. فلا بُدَّ أَنَّ هٰؤُلاءِ الجِنِّيّاتِ اللَّطيفاتِ يَقْضينَ حَياتَهُنَّ كُلَّها في التَّلْميعِ.

ثُمَّ هَمَسَتِ الجِنِّيَّةُ فَجْأَةً قائِلَةً : «أَتَعْرِفينَ ما سَنَفْعَلُ الآنَ؟»

أجابَتْ سَوْسَن بِشَيْءٍ مِنَ التَّرَدُّدِ : «أَظُنُّ أَنَّني أَعْرِفُ.» لقد ظَنَّتْ أَنَّ شُعاعَ القَمَرِ سَتَسْمَحُ لَها بِمُساعَدَةِ الجِنِّيّاتِ الصَّغيراتِ في تَلْميعِ النُّجومِ.

لكِنَّ شُعاعَ القَمَرِ هَمَسَتْ : «الآنَ سَتَرَيْنَ جِنِّيّاتِ النَّهارِ. هٰؤُلاءِ يَعْمَلْنَ نَهارًا ويَنَمْنَ لَيْلًا.»

قالَتْ سَوْسَن : «ما الَّذي تَفْعَلُهُ جِنِّيّاتُ النَّهارِ؟»

ضَحِكَتْ شُعاعُ القَمَرِ وقالَتْ : «سَتَرَيْنَ عَمَلَهُنَّ بِنَفْسِكِ بَعْدَ لَحَظاتٍ.» أَمْسَكَتْ يَدَ سَوْسَن ، وطارَتْ بِها ناحِيَةَ سَحابَةٍ كَبيرَةٍ بَيْضاءَ ناعِمَةٍ حَريرِيَّةٍ.

هَمَسَتْ شُعاعُ القَمَرِ قائِلَةً : «لا تَتْرُكي يَدي وإلّا سَتَسْقُطينَ في السَّحابِ.» ثُمَّ فَتَحَتْ بابًا آخَرَ. حَدَّقَتْ سَوْسَن عَبْرَ البابِ المَفْتوحِ فَرَأَتْ صُفوفًا طَويلَةً من جِنِّيّاتِ النَّهارِ الصَّغيراتِ وقَدِ اسْتَغْرَقْنَ في نَوْمٍ عَميقٍ. وعِنْدَ قَدَمَيْ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ دَلْوُ طِلاءٍ صَغيرٌ.

هَمَسَتْ سَوْسَن: «ما أَجْمَلَهُنَّ! لم أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّ الجِنِّيّاتِ يَنَمْنَ في السَّحابِ.»

قالَتْ شُعاعُ القَمَر: «هٰؤُلاءِ جِنِّيّاتُ النَّهارِ، وهُنَّ يَعْمَلْنَ نَهارًا في تَلْوينِ قَوْسِ قُزَحَ. إِنَّهُنَّ يَعْمَلْنَ كَثيرًا أَيْضًا.»

قالَتْ سَوْسَن: «لَنْ أُوْقِظَهُنَّ، فلا شَكَّ أَنَّهُنَّ مُتْعَبات. لٰكِنّي أُريدُ أَنْ أَتْرُكَ لَهُنَّ هَدِيَّةً لِيَعْرِفْنَ أَنّي كُنْتُ عِنْدَهُنَّ.» ثُمَّ وَضَعَتْ كِتابَها عن حِكاياتِ الجِنِّيّاتِ عِنْدَ قَدَمَيْ إِحْدى الجِنِّيّاتِ الصَّغيرات. لٰكِنَّ الكِتابَ لِلأَسَفِ لم يَصْمُدْ فَوْقَ السَّحابِ، فقد غاصَ واخْتَفى. لَعَلَّهُ كانَ ثَقيلًا. أَمّا أَغْرَبُ ما في هٰذِهِ الحِكايَةِ فهو أَنَّهُ عِنْدَما اسْتَيْقَظَتْ سَوْسَن في صَباحِ اليَوْمِ التّالي، وَجَدَتْ كِتابَها الّذي سَقَطَ في الفَضاءِ قد عادَ إلى سَريرِها. لقد حَطَّ الكِتابُ بَعْدَ اجْتِيازِهِ الجَوَّ الفَضائِيَّ في السَّريرِ الّذي كانَتْ تُقَلِّبُ الكِتابَ فيه قَبْلَ النَّوْمِ، والّذي انْطَلَقَتْ في رِحْلَتِها منه أَيْضًا.

لَعَلَّ جِنِّيَّةَ القَمَرِ تَزورُكَ أَنْتَ أَيْضًا ذاتَ لَيْلَةٍ. بَلْ لَعَلَّها تَأْخُذُكَ مَعَها أَيْضًا لِزِيارَةِ جِنِّيّاتِ النَّهارِ اللَّواتي يُلَوِّنَّ قَوْسَ قُزَحَ، وجِنِّيّاتِ اللَّيْلِ اللَّواتي يُلَمِّعْنَ النُّجومَ.





قِطَّةٌ زينة

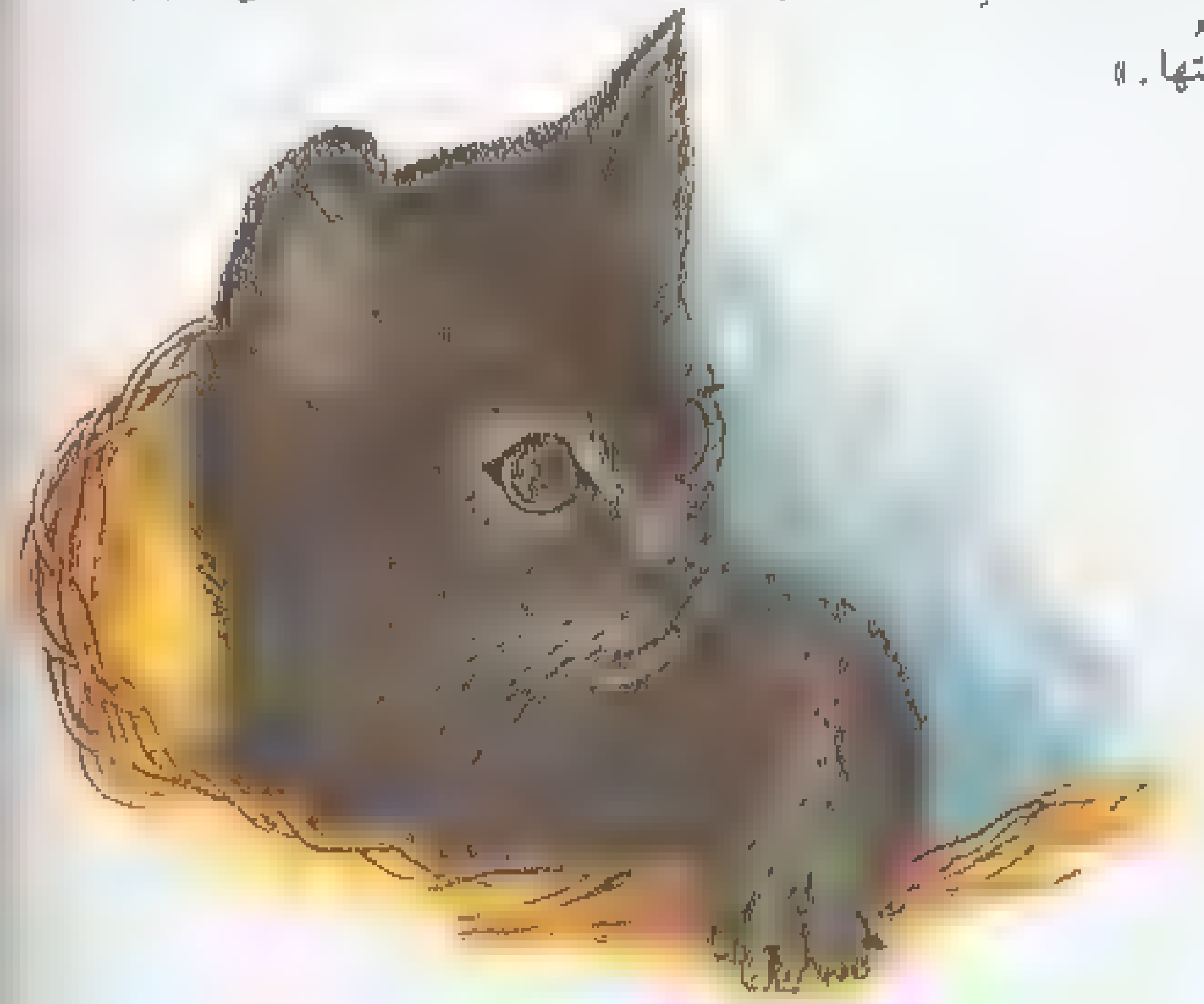
لم تُصدِّق زينة عينيها حين دخلت المطبخ في يوم عيد ميلادها. فقد وجدت في زاويةٍ منه قطّةً صغيرةً لطيفةً، تجلس مطمئنّةً وادعةً في سلّتها.

سألت زينة قائلةً «لمن هذه القطّة اللّطيفة؟ ومن أين جاءت؟»

أجابت أمّها بابتسامةٍ عريضةٍ: «إنّها لكِ يا حبيبتي! كلُّ عامٍ وأنتِ بخير» ثمّ رفعت القطّة الصّغيرة بلطفٍ. فتطلّعت القطّة ناحية الطّفلة بعينين خجولتين. قالت زينة: «القطّة لي؟ ما أجملها! لكن كنتُ أظنُّ أنّ أبي لا يستلطف الحيوانات البيتيّة.»

قال الأب: «صرتُ أقبل بها بعد أن رأيتُ محبّتك الشّديدة للحيوانات. لكن عليكِ أن تعتني أنتِ بالقطّة.»

تناولت زينة القطّة الصّغيرة من والدتها وهي تقول: «نعم، سأعتني بها» ثمّ راحت تربّت فراءها بحنانٍ شديدٍ، وتقول: «شكرًا. فهذه أفضل هديّة عيد ميلادٍ تلقّيتها.»



قال الأب، وهو يتظاهر بالعبوس. «آمل ألّا تثير هذه القطّة لنا المتاعب.»

أجابت الأمّ: «لا تبدو لي قطّةً شقيّةً.» ثمّ التفتت إلى زينة وقالت: «عليكِ الآن أن تعطيها اسمًا.»

بدت القطّة لطيفةً ذات فراءٍ ناعمٍ. قالت زينة. «أسمّيها نواعم.»

قال الأب ضاحكًا: «آمل أن يكون اسمًا على مسمّى، وأن تتصرّف قطّتكِ دائمًا بنعومةٍ. والآن ما رأيكِ أن نرى ما جاءنا به ساعي البريد؟ فاليوم عيد ميلادكِ!»

قفزت زينة بحماسةٍ إلى باب البيت، ووجدت عنده عددًا كبيرًا من بطاقات المعايدة ورزمتين فحملتها إلى داخل البيت وراحت تقلّب بطاقات أصدقائها وأقربائها بفرحٍ شديدٍ.

ثمّ جاء دور الرّزمتين فساعدها أبوها وأمّها في فتحهما. وكان في الرّزمة الأولى علبةُ أقلامٍ خشبيّةٌ جميلةٌ تحوي أقلامًا ملوّنةً وممحاةً ومبراةً. وكتب على العلبة اسم زينة بأحرفٍ جميلةٍ. كانت هديّةً رائعةً من جدّها وجدّتها

وكان في الرّزمة الثّانية لعبة القطع المتوافقة. فإذا جمعت تلك القطع تشكّلت لوحةٌ لقطّتين صغيرتين لطيفتين. كان الجميع يعرفون محبّة زينة بالحيوانات البيتيّة، فأرسلت لها عمّتها زمرّد لعبةً تمثّل قطّتين لطيفتين

في تلك اللّحظة أحسّت زينة بشيءٍ ناعمٍ يلمس ساقها.

كانَتْ تِلْكَ نَواعِم. رَأَتْ خَيْطًا صوفِيًّا يَتَدَلّى من طَرَفِ الطّاوِلَةِ، فلم تَسْتَطِعْ مُقاوَمَةَ إغْراءِ اللَّعِبِ. أَخَذَتْ تَضْرِبُ الخَيْطَ المُتَدَلِّيَ بِمَخالِبِها، ثمّ شَدَّتْ كُبَّةَ الصّوفِ كُلَّها وأَوْقَعَتْها على الأَرْضِ، ثمّ انْقَلَبَتْ أَرْضًا ودارَتْ على نَفْسِها فالْتَفَّ خَيْطُ الصّوفِ حَوْلَها مَرّاتٍ، ولم تَعُدْ تَعْرِفُ كَيْفَ تَتَخَلَّصُ منه. ضَحِكَتْ زينَة كَثيرًا وكَذٰلِكَ ضَحِكَ أَبوها وأُمُّها.

عَلَّمَتِ الأُمُّ ابْنَتَها زينَة كَيْفَ تَصْنَعُ لُعْبَةً صَغيرَةً لِلْقِطَّةِ. فقد بَرَمَتْ جَريدَةً ثمّ عَلَّقَتْها بِخَيْطٍ. رَفَعَتْ سَوْسَن طَرَفَ الخَيْطِ وأَخَذَتْ تَهُزُّهُ، فراحَتْ نَواعِم تَقْفِزُ بِحَماسَةٍ شَديدَةٍ مُحاوِلَةً الإمْساكَ بِاللُّعْبَةِ الرّاقِصَةِ. ثمّ جَرَّتْ زينَة اللُّعْبَةَ على الأَرْضِ بِسُرْعَةٍ مُحَرِّكَةً الخَيْطَ بِاتِّجاهاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، فراحَتْ نَواعِم تَقْفِزُ وَراءَها من مَكانٍ إلى مَكانٍ وتَرْمي نَفْسَها عَلَيْها المَرَّةَ تِلْوَ المَرَّةِ.





قالَتِ الأُمُّ: «بَعْدَ كُلِّ هٰذا اللَّعِبِ، عَلَيْنا الآنَ أَنْ نُقَدِّمَ لِنَواعِم بَعْضَ الطَّعامِ.»

قَدَّمَتْ زينَة لِلْقِطَّةِ الصَّغيرَةِ صَحْنًا مِنَ الحَليبِ. شَمَّتِ القِطَّةُ طَعامَها أَوَّلًا، وكَأَنَّها تُريدُ أَنْ تَتَأَكَّدَ منه قَبْلَ أَنْ تَتَناوَلَهُ، ثمّ أَسْرَعَتْ تَلْعَقُهُ بِشَهِيَّةٍ.

تَرَكَتْ زينَة قِطَّتَها تَأْكُلُ طَعامَها بِهُدوءٍ. ثمّ انْحَنَتْ عَلَيْها ورَبَّتَتْ فِراءَها النّاعِمَ، وداعَبَتْ رَأْسَها ثمّ حَمَلَتْها ووَضَعَتْها في سَلَّتِها.

الْتَفَّتِ القِطَّةُ الصَّغيرَةُ حَوْلَ نَفْسِها وأَغْمَضَتْ عَيْنَيْها ونامَتْ. فبَعْدَ اللَّعِبِ يَحْلو النَّوْمُ.

في صَباحِ اليَوْمِ التّالي اسْتَيْقَظَتْ زينَة مُنْشَرِحَةً. أَسْرَعَتْ تَقْفِزُ إلى المَدْرَسَةِ قَفْزًا، فقد كانَ لَدَيْها أَخْبارٌ كَثيرَةٌ تَرْويها لِمُعَلِّماتِها ورَفيقاتِها عن عيدِ ميلادِها الّذي كانَ أَجْمَلَ عيدِ ميلادٍ عَرَفَتْهُ.



سِلْسِلَة «حِكايات المَساء»

١ – إياد والتِّنين
٢ – مَلِكُ الفَراش
٣ – الجُنْدُبُ الأَسير



عرب كوميكس
www.arabcomics.net
هذا العمل لهواة القصص المصورة و لا يهدف للربح بل هدفه توفير القصة الأثرية لكل من يهتم بهذا الفن
الرجاء حذف هذا الملف بعد قراءته و شراء النسخة الأصلية الورقية عند توفرها في الأسواق لدعم استمراريتها